جرائم العبيد السودان في الأندلس

منذ أواخر عصر الدولة العامرية حتى بداية عصر المرابطين

(٣٩٢-٤٧٩هـ/ ١٠٠٢-١٠٨٦م)

د. فريد عبد الرشيد فريد سليم

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة الزقازيق

faridelmohandes54@gmail.com

مُلخص:

تهدف هذه الدراسة إلي التعرف على الظواهر الإجرامية التي ارتكبها العبيد السودان في الأندلس منذ أواخر عصر الدولة العامرية حتى بداية عصر المرابطين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. وقد استهللتُ هذه الدراسة بذكر معاني الجريمة في اللغة والاصطلاح، ثم عرضت للحضور السوداني المبكر في تاريخ الأندلس، ثم تطرَّقتُ بعد ذلك لتبيان أسباب شيوع جرائم السودان في الأندلس، من خلال رصد فترات الاضطراب السياسي المصحوبة بالمواجهات الحربية، والتي كان لها أكبر الأثر في اضطراب الأوضاع وغياب الأمن وتهيئة المناخ المناسب لارتكاب الجرائم، ثم تعرضت إلي النظرة الدونية للعبيد السودانيين، والتي أرختْ بظلالها السلبية على أفعالهم وممارساتهم داخل المجتمع الأندلسي، ثم انتقلتُ بعد ذلك إلي ذكر أنواع الجرائم التي ارتكبها العبيد السودان، وما تركتْه من آثار ألقت بظلالها على كافة مناحي الحياة في الأندلس، ثم أخيرًا تأتي خاتمة بأهم نتائج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الجرائم، العبيد السودان، الأسباب والدوافع، أنواع الجرائم، آثار الجرائم.

Sudanese Slaves' Crimes in Andalusia

Since the end of Amiriya state's era until the beginning of Almoravid era

(392-479 AH/1002-1086 AD)

Abstract :

This study aims to identify the criminal phenomena that were committed by the Sudanese slaves in Andalusia since the end of Amiriya State's era until the beginning of Almoravid era in 479 AH/1002 AD, so this study began by handling of the meanings of crime, linguistically and idiomatically, then it dealt with the early Sudanese presence in the history of Andalusia, this was followed by stating the reasons for the spread of Sudanese slaves' crimes in Andalusia by conducting a monitoring of periods of political disorder accompanied by war confrontations, it had a huge impact on the turmoil of the situation as well as the lack of security, which consequently led to committing of crimes, then the study dealt with the inferior view towards Sudanese slaves where it was reflected by negative shadows on their actions and practices within the Andalusian society, that was followed by discussing the types of crimes committed by the Sudanese slaves, with shedding light on the effects occurred with their shadows on all aspects of life in Andalusian society, and finally the conclusion was reached by showing the most important results of the current study.

Key Words:- Crimes- Sudanese Slaves- Reasons and Motives- Types of Crimes- Crimes Effects.

مقدمة منهجية:

لا مجال لإنكار الدور الإيجابي الذي اضطلع به العبيد[١] السودان في تاريخ الأندلس بصفة عامة، والمهام الجليلة التي قاموا بها في شتى نواحي الحياة الأندلسية[٢]، سواء على المستوي السياسي من خلال العمل داخل القصور في خدمة البلاط ورعاية مصالح الحكام والأمراء وحريمهم[٣]، أو على المستوى الاقتصادي من خلال العمل في مجالات الزراعة[٤] والصناعة[٥] والتجارة[٦]، أو على المستوى العسكري[٧] من خلال استغلالهم كقوى حربية تستجيب لحاجة الدولة في الجهاد[٨]، أو على المستوى الاجتماعي من خلال تسخيرهم في أعمال الخدمة المنزلية[٩].

لكن هذا الدور الإيجابي الذي لعبه العبيد السودان على مختلف الأصعدة كان مصحوبًا في الوقت نفسه ببعض الأدوار والممارسات السلبية في تاريخ الأندلس، عندما تطورت أدوارهم من أعمال ومهام بسيطة عادية، حتى أضحت أدوارًا بارزة جلية[١٠]، لاسيما على المستوى السياسي عندما أصبح هؤلاء السودان بمثابة أداة طيعة في أيدي أرباب السلطة، يوظفونها كما يشاؤون بهدف تصفية معارضيهم ومنافسيهم، وكسر شوكة العصبيات المنافسة لهم، وحماية مراكزهم من الخصوم والمناوئين، وهو ما يفسر لنا حرص السلطة على اصطناع الأجانب، والاستقواء بهم على أوليائها الأقدمين وصنائعها الأولين، ومرد ذلك ما يعتريهم في أنفسهم من العزة على صاحب الدولة، وقلة الخضوع له، حتى ينافرهم "ويعدل عنهم إلي استعمال سواهم"[١١].

وقد لاقى هذا التوجه من جانب السلطة قبولاً من جانب العبيد السودان، أملا منهم في بلوغ منزلة ومكانة أعلى في السلم الاجتماعي[١٢]. ومن ثم حرص أمراء الأندلس على الاستكثار من شراء السودان وتوظيفهم في حرسهم الخاص، وأقصوا عنهم كل من ناوأ سلطتهم[١٣]، حتى أصبح هؤلاء العبيد ومن على شاكلتهم يشعرون بأن لهم اليد الطولى في تدبير أمور أندلس القرن ٥هـ/ ١١م، وهو ما تعجب منه ابن حزم[١٤] عندما سأل أحد العبيد عن سر اغتراره بنفسه وازدرائه للناس مخاطبًا أياه بأن هناك "قومًا من العبيد هم أطول يدًا منك وأمرهم نافذ عليك وعلى كثير من الأحرار".

كما كان للتفكك السياسي الذي عانت منه الأندلس خلال الفترة المعنية، وتعدد القوي السياسية المتصارعة على السلطة، وغياب سلطة مركزية قوية، فضلا عن زيادة حدة وطأة حركة الاسترداد

الإسباني – دور في اصطناع العبيد السودان، والاعتماد عليهم دون غيرهم من فئات العامة[١٥]؛ لما يمتازون به من صبر وقوة تحمل وطاعة وإخلاص[١٦].

وعلى هذا النحو ارتكز أمراء السلطة في الأندلس على العبيد السودان في إدارة الصراعات، وفي كبح جماح المتآمرين، فارتكبوا تحت مظلة السلطة وحمايتها وتدبيرها العديد من الظواهر الإجرامية، التي تنوعت ما بين القتل والاغتيال والتشهير بالخصوم والمنافسين السياسيين، فضلا عن ارتكابهم لجرائم أخرى خلال فترات الفوضى والاضطراب تمس الأموال والممتلكات، والأخلاق والآداب العامة، كجرائم السلب والنهب واللصوصية، وجرائم الزنا والشذوذ والاغتصاب.

وبالنظر إلي فظاعة هذه الجرائم وما تتركه في المجتمع من إفرازات إجرامية تنعكس آثارها على استقرار المجتمع وأمنه، فإن ذلك أوجب على الفقهاء التصدي لها – كما سنرى – ومطالبة ولاة الأمر بضرورة الضرب على أيدي مرتكبيها من العبيد السودان وملاحقتهم، بل ومنعهم من العبور والجواز إلي الأندلس، حفاظًا على استقرار المجتمع الأندلسي وسلامة أفراده[١٧].

ويرجع اختيار موضوع الدراسة إلي خلو ساحة أبحاث التاريخ الإسلامي – فيما أعلم – من دراسة منفردة قائمة بذاتها توثق لجرائم العبيد السودان في الأندلس خلال الفترة المعنية. فالحق، أن هذا الموضوع يُعد موضوعًا جديدًا في بحر الدراسات التاريخية الأندلسية، ومع ذلك، لا ننفي أن هناك دراسات تناولت موضوع الجريمة والعقوبة في الأندلس، ومن ثم لا يمكن إغفال جهد أصحابها فيما بسطوه لنا من رؤى، لنستنير بضوئها في كشف النقاب عن حيثيات هذا الموضوع.

ومن هذه الدراسات دراسة الدكتورة/ شيماء فرغلي عن: "الجريمة والعقوبة في الأندلس من الفتح الإسلامي إلي سقوط الخلافة الأموية"[١٨]، وتُعد هذه الدراسة من بين أهم الدراسات التي طرقت موضوع الجريمة والعقوبة في الأندلس بشكلٍ عام، حيث سعت فيها صاحبتها إلي كشف النقاب عن الجريمة من حيث عواملها وأنواعها، وطرق المواجهة والعقوبة، واختتمتها بذكر السجون وأنواعها. وعلى الرغم من كون هذه الدراسة تتناول الجريمة بشكلها العام في الأندلس دون التركيز على فئة بعينها، كما أنها تتناول مجالاً زمنيًا يقع أغلبه خارج مجال دراستنا، فإنا لا نُخفي الفائدة العظيمة التي أمدتنا بها لإثراء جوانبَ من بحثنا.

ويعود اختيار الفترة الزمنية إلي أنها شهدت تصاعد مكانة العبيد السودان في السلطة، عندما أوكل إليهم القيام بأدوار سياسية مهمة، تمثلت في القيام بمهام الاغتيالات بحق الخصوم والمناوئين، هذا فضلا عن أن هذه الفترة المعنية كانت مصحوبة بحالة من الانفلات والفوضى والاضطراب السياسي والمواجهات الحربية وغياب الأمن، شهدتها بلاد الأندلس بعد وفاة المنصور بن أبي عامر[١٩] سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، فبموته "أنهبت كل يد ما ملكت، وفُتّتت الرعايا وهلكت، وانشقت العصا"[٢٠]، ليخلفه على حكم الدولة العامرية ولديه عبد الملك[٢١] وعبد الرحمن[٢٢]، وبانتهاء حياة الأخير تبدأ فترة جديدة في تاريخ الأندلس هي فترة الفتنة البربرية[٢٣]، التي أعقبها فترة ملوك الطوائف بما تعنيه من ضعف وانقسام لوحدة الأندلس، ومثل هذه الظروف والأوضاع تمثل مرتعًا خصبًا لارتكاب الجرائم.

أولاً: الجريمة في اللغةِ والاصطلاحِ:

الجريمة لغةً: من الجُرْمُ وهو: التعدي، وَالجُرْمُ: الذَّنْبُ، وَالَجْمعُ أَجْرامٌ وجُرومٌ، وهو الَجْرِيمَةُ، وقَدْ جَرَمَ يَجْرِمُ جَرْمًا وَاجْترمَ وأَجْرَامَ، فَهُوَ مُجْرِمٌ وجَرِيمٌ. وَالجُرْمُ: مَصْدرُ الجَارِمِ الذِي يَجْرِم نَفْسَهُ وقَوْمَهُ شرًا. وفُلانٌ لَهُ جَرِيمةٌ إليَّ أَيْ جُرْمٌ. وَالجارِمُ: الجانِي. وَالْمُجْرِمُ: الْمُذْنِبُ[٢٤].

وقد جاء في هذا السياق اللغوي العديد من الآيات القرآنية التي تؤيد هذا المعني؛ منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[٢٧]. وعلى هذا النحو ينتهي الأصل اللغوي إلي أن الجريمة هي فعل الأمر الذي لا يستحسن ويستهجن، وفعل ما نهى الله عنه وعصيان ما أمر الله به[٢٨].

واصطلاحًا: فقد عرف فقهاء الشريعة الجريمة بأنها "محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء تُوجبهُ الأحكام الشرعية"[٢٩]، والمحظورات هي: إما إتيان فعل منهي عنه، أو ترك فعل مأمور به، وقد وصفت المحظورات بأنها شرعية، إشارة إلي أنه يجب في الجريمة أن تحظرها الشريعة الإسلامية وتمنعها[٣٠]. والحدود، عقوبات مقدرة وجبت حقًا لله سبحانه وتعالى وضعها للردع عن ارتكاب ما نهى

عنه، كحد الزنا والبغي وشرب الخمر والسرقة والحرابة وغير ذلك[٣١]. أما التعزير: عقوبات رادعة ترك لولي الأمر أمر تقديرها بما يحقق دفع الفساد ومنع الشر والأذى[٣٢].

وعليه، فالجرائم في الشريعة، تعني إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل معاقب على تركه، ولا يعتبر الفعل أو الترك جريمة إلا إذا كان معاقبًا عليه[٣٣].

ثانياً: الحضور السوداني المبكر في الأندلس:

بداية يُقصد بمصطلح "**العبيد السودان**" في هذه الدراسة الزنوج[٣٤] والأحباش[٣٥] والسودان[٣٦] على السواء، وهي "أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد"[٣٧]، نسبة إلى بلاد السودان موطنهم الأصلي[٣٨]، وقد اكتسبوا هذا اللون من شدة الحرارة؛ لأن الشمس تمر على سمت رؤوسهم في السنة مرتين، فتحرقهم وتسود أبدانهم[٣٩]، فهم خليط معقد من أمم كثيرة[٤٠]، فقراء معدمون[٤١]، يعيشون حياة بدائية[٤٢].

ونظراً لحاجة أمراء الأندلس إلى خدمات هؤلاء السودان، فقد كثر الطلب عليهم، لما يمتازون به من صفات: كالصبر، والتحمل، والطاعة، والإخلاص أكثر من غيرهم من الأجناس الأخرى، كالبربر الذين لم يكن مرغوبًا في اقتنائهم[٤٣].

وانطلاقًا من ذلك، فقد وصفهم الجاحظ[٤٤] ببعض الخصال الأخرى التى رغَّبت الناس في الإقبال عليهم، كشدة الأبدان إلى درجة أن الرجل منهم يرفع الحجر الثقيل الذى تعجز الجماعة عن دفعه. كما يتفق الشريشى[٤٥] مع الجاحظ في أن السودان قد جعل الله فيهم من الخصال "ما يفوق المراد من ملامسة الأبدان وتفتق السواد، وجمال العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان"، في حين خص السقطي[٤٦] الزنجيات بأنهن "أشد خلق الله وأجلدهن على الكد"، في دلالة على قدرة تحملهن العمل في أحلك الظروف وأصعبها.

ورغم أنه لا سبيل إلي الشك في غلبة رقيق الصقالبة[٤٧] على سواه في الأندلس خلال الفترة المعنية، غير أن هذا الاعتقاد لا يمنع من القول بأن هناك عبيدًا سودًا من أفريقيا الغربية[٤٨] وبلاد الحبشة[٤٩] والنوبة[٥٠] قد انتقلوا إلي الأندلس منذ وقت مبكر، وهو ما يؤكده الواقع التاريخي العياني،

حيث لعب تجار الرقيق من المسلمين[٥١] واليهود[٥٢] دورًا مهمًا في إمداد وتغذية أسواق النخاسة الأندلسية بما تحتاج إليه من العبيد السودان وغيرهم[٥٣].

وعليه فقد تزايدت أعداد هؤلاء العبيد السودان في الأندلس خلال الفترات اللاحقة، حين أتى بهم الجلابون إلي هذه البلاد لتلبية احتياجات الحكام والأمراء وأهل اليسار منهم، لما لمسوا فيهم من إذعان وخضوع واستسلام، فأقبلوا على اقتنائهن، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "إنما تذعن في الغالب أمم السودان لنقص الإنسانية فيهم، وقربهم من عرض الحيوانات العجم"[٥٤].

ولعل في تسمية أحد الأماكن المطلة على شاطئ مدينة سبتة[٥٥] باسم "حجر السودان"[٥٦] خير دليل على كثرة توافد العبيد السودان على الأندلس من تلك الناحية. كذلك عُرف هؤلاء العبيد السودان في الأندلس باسم "الطنجيين"[٥٧]، نسبة إلي مدينة طنجة[٥٨] الواقعة في المنطقة الفاصلة بين بلاد المغرب والأندلس، والتي كانت محطة لتجمعهم قبل العبور إلي الأندلس.

وقد تعددت الإشارات الدالة على العبيد السودان في المصادر الأندلسية، حيث تنوعت مسمياتهم بين "خادم أسود"[٥٩]، و "غلام أسود"[٦٠]، و "أسود حبشي"[٦١]، و "أسود زنجي"[٦٢]، و "أسود قبيح"[٦٣]، و "أسود اللون"[٦٤]، و"جارية سوداء"[٦٥]، وكلها مسميات مترادفة تدل عليهم وعلى جنسهم. ومن الواضح أن تلك النعوت تُعبر في ثناياها عن الوضعية السيئة التي كانت عليها تلك الفئات.

ويبدو أن هؤلاء العبيد السودان كانوا من القوة والانتشار الأمر الذي حدا بهم للظهور كمجموعة متميزة داخل المجتمع الأندلسي كلما دعت الضرورة إلي ذلك، من خلال استخدام وسيلة اتصال مميزة تجمع شملهم وتلفت الانتباه إليهم ألا وهي عادة النفخ في البوق، حيث جاء في أحد الأمثال الأندلسية، "إذا رأيت الزنج، أبشر بالبواق"[٦٦]، والذي يفهم منه أن العبيد السودان كانوا عادة ما ينفخون في البوق بقصد جمع بني جلدتهم من السودان[٦٧]. وقد أكدت إحدي الإشارات المصدرية على شيوع هذه العادة بين السودانيين في الأندلس، لاسيما في مدينة إشبيلية[٦٨].

وقد سجل هؤلاء السودان حضورًا إيجابيًا بارزًا في الأندلس منذ بداية الوجود الإسلامي بها، حيث كانوا في طليعة الفاتحين لهذه البلاد خلال حملة طارق بن زياد، إذ يقول صاحب كتاب فتح الأندلس "وقدم السودان بين يديه للحرب والغارة"[٦٩]. ولعل ما تمتع به هؤلاء السودان من قوة وصلابة وتحمل

كانت وراء استخدام مغيث الرومي لهم في التجسس على خصومه القوط أثناء حملته لفتح الأندلس، حيث أرسل وهو على أبواب مدينة قرطبة بعد أن استطال الحصار عليها لمدة ثلاثة أشهر دون جدوى "رجلاً أسود ليأتيه بخبر الساقية .. ولم يكن دخل الأندلس من السودان غيره"(٧٠).

فوقع هذا العبد الأسود الذي يدعى "رَباح" أسيرًا في أيديهم، فتعجبوا من لون بشرته السوداء فقال: "بعضهم إنه خلقة، وقال بعضهم إنه مصبوغ، فضمه الأحداث إلي الساقية، وحَكّه الأعلاج بالحبال، فلم يزدهم حَكُّه إلا صفاء للونه ونقاء لخلقته، فأيقنوا أنه خلقة"(٧١).

وقد استطاع هذا العبد الأسود الإفلات من أسر هؤلاء النصارى الإسبان، والعودة إلي جيش مولاه مغيث الرومي بعد أن "مكث في إسارهم سبعة أيام .. إلى أن يسر الله له الخلاص ليلاً، ففر وأتي الأمير مغيثًا فخبره بشأنه وعرّفه بالذي اطلع عليه من موضع الماء الذي ينتابونه، ومن أي ناحية يأتيهم، فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التى أشار إليها الأسود حتى أصابوها، فقطعوها عن جريانها إلي الكنيسة، وسدوا منافذها، فأيقنوا بالهلاك حينئذ"(٧٢). ومن ثم يسّر هذا العبد الأسود من عمليات الفتح الإسلامي لتلك المنطقة.

وفي عهد بني أمية، شكل العبيد السودان حضورًا لافتًا، وأسهموا بدور كبير في قيام الإمارة الأموية على أيدي الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)، نذكر من ذلك ما قام به أحد العبيد الأحباش ويكنى بأبي البصري عندما لبى دعوة سيده الأمير عبد الرحمن، فكان هو البادئ بالحرب يوم المصارة قبل دخول الأمير الأموي إلي قرطبة سنة ١٣٨هـ/٧٥٩م، حيث تصدى لمولى بربري من موالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري والي الأندلس (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٩م)، وتمكن من التغلب عليه وقطع رجليه(٧٣)، فكانت شجاعة هذا العبد الحبشي فاتحة النصر لعبد الرحمن الداخل في هذه المعركة الفاصلة.

كذلك كان لإحدى الجواري السودانيات دور في إنقاذ الأمير عبد الرحمن الداخل من القتل، عندما هم أبو الصباح بن يحيى اليحصبي لقتله؛ بسبب عزله إياه عن ولاية إشبيلية(٧٤)، فلم يملك الأمير عبد الرحمن نفسه من الغضب لما أغلظ أبو الصباح في مجاوبته، فتناول قتله بيده، فأعانته على أمره جارية سوداء كانت شهمة، جاءته هذه الجارية بالخنجر الذي قتله به(٧٥).

ومن المؤكد أن أمراء بني أمية بداية من عهد عبد الرحمن الداخل قد اتخذوا من هؤلاء العبيد السودان فرقًا في جيوشهم لما يتمازون به من الشجاعة والبسالة[٧٦]، حيث ينقل المقري[٧٧] عن ابن حيان أن عبد الرحمن الداخل قد استكثر من شراء العبيد، حتى جمع منهم أربعين ألفًا، "صار بهم غالبًا على أهل الأندلس من العرب، فاستقامت مملكته وتوطدت".

وعلى هذا النحو أصبح جيش عبد الرحمن الداخل وتنظيماته العسكرية تضم عرافة من الجند السودان، تحوي الآلاف منهم، إذ لم يكن في جيش عبد الرحمن الداخل عرافة غيرها، وهي العرافة التي ضم إليها بزيعًا جد بني بزيع موالي بني أمية، وذلك لأن أحد الخاصة دفعه إلي الحرب مع الأمير عبد الرحمن في أحد المعارك الداخلية مع الثوار "فأبلى وأجزأ وظهرت منه نجدة، فقال له الأمير: عبدٌ أَنت أم حُر؟ فقال: بل عبد، فأمر بشرائه، فاشْتُرِى وعرّفه في عَرافة السُود"[٧٨].

كذلك أقبل الأمير الأموي الحكم الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) على شراء العبيد سواء من السودانيين أو الصقالبة[٧٩]، وهم الذين قصدهم الحكم في قوله: "ما استعدَّت الملوك بمثل الرجال، وما حامي عنها مثل عبيدها، ولا فزعت في شداتها إلي أحضر نفعًا منهم"[٨٠]، وهؤلاء العبيد السودان ساواهم دوزي[٨١] بأولئك الصقالبة الخرس، إذ قال "واستكثر في حرسه من الفرسان المماليك المسمون بالخرس؛ لأنهم كانوا من الزنوج والعبيد الأعاجم الذين لا يعرفون العربية".

وأصبح هؤلاء العبيد السودان على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر يشكلون حضورًا بارزًا في الأندلس، ومرجع ذلك أنه حينما أراد أن يدعم جيشه ويقويه بعناصر جديدة، كره اصطناع الجند البربري، إذ كان على "احتراس من كيادهم .. غير مستدع لهم إلي العبور عليه، ولا مستكثر منهم"[٨٢]، وأقبل على اصطناع السودان، غانيًا بهم عمن سواهم، حتى أصبح يمتلك كتيبة من العبيد الزنوج "موقعًا عليهم اسم الطنجيين، مقتصرًا بهم على أدنى الملاحق، قاصرًا لهم على أقل الرواتب، مصرفًا لهم في أشق الخدمة"[٨٣].

ومن المرجح أن معاملة العبيد السودان في عهد عبد الرحمن الناصر قد اصطبغت بالتعسف والقهر، حيث يذكر ابن حزم عنه أنه هو الذي علق "أولاد السودان" في ناعورة قصره لاستخراج الماء

بدلاً من الأقداس الغارفة في الماء فأهلكهم"[٨٤]، في دلالة على قسوته وشدة بطشه بهم، واستهانته بالدماء.

وفي إشارة المقري التي مفادها أن رجلاً من بلاد السودان قد وفد على الأندلس سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م خير دليل على ما ذهبنا إليه من الحضور القوي للسودانيين خلال عهد عبد الرحمن الناصر[٨٥]، حيث يقول في إشارته تلك "طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان"[٨٦]. وقد سار على نهجه في تقريب السودان واصطناعهم ابنه الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، حيث ألحق بخدمته كتيبة من العبيد الزنوج[٨٧].

وعلى عهد الدولة العامرية، زادت أهمية وفاعلية العبيد السودان، بعدما تخلى المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠٢م) عن الصقالبة، الذين كانوا يرون أنهم "أكثر جمعًا، وأحد شوكة، يظنُّون أن لا غالب لهم، وأن المُلك بأيديهم"[٨٨]، حتى انكسرت شوكتهم "وفل حدهم، وتجرد ابن أبي عامر لطلبهم، فاستخرج منهم أموالاً جمة"[٨٩]؛ ولذلك استكثر المنصور من شراء السودان لما عرفوا به من قوة في القتال وجلد على تحمل المشاق والصعاب، فجلب منهم ألفي راجل شكل بهم قوة من رجال البريد الرقاصة[٩٠] أو رقاصة السودان[٩١].

وكان هؤلاء السودان الرقاصة يحملون سرير المنصور بن أبي عامر حينما اشتد به المرض في آخر غزواته "ليلين مشيهم، وكان يتأذى بصنان ريحهم مع ما كان حوله من الطيب"[٩٢]. وفي عهد ولده عبد الملك المظفر تطورت أدوار ومهام العبيد السودان بشكل كبير، حتى أصبحوا بمثابة كتيبة إعدام، يستعين بها في تصفية خصومه ومناوئيه على السلطة[٩٣].

وخلال عصر ملوك الطوائف، تتواتر لدينا الإشارات حول حضور الجند السودان بكثرة في مصادر الفترة[٩٤]، منها ما يتعلق بتفسير الوزير محمد بن أيمن وزير المتوكل صاحب بطليوس (٤٦٤-٤٨٨هـ/١٠٧٢-١٠٩٤م) لبيتين من الشعر ورد فيهما عبارة "اختلاط البيض بالسود" أن صاحبها أراد الشباب والشيب، فقال: "هو والله ما أراد، إلا الروم والزنج، وكنى باختلاطهم وانتشارهم فينا وانبساطهم"[٩٥]، وفي هذا التفسير دلالة واضحة على كثافة الحضور السوداني.

كما سعت مختلف القوي السياسية خلال عصر ملوك الطوائف إلي اصطناع السودان والاستظهار بهم، فقد حرص بنو حمود في قرطبة على اتخاذ السودان[٩٦]، كما نجد ذكرًا لحضورهم في قصبة مالقة[٩٧] خلال فترة الحموديين[٩٨]، وفي قرْمُونَة[٩٩] عقب وفاة أميرها الحمودي يحيى بن على، ومن المرجح أنهم كانوا من الكثرة والانتشار الأمر الذي مكنهم من السيطرة على أبواب المدينة ضد هجوم بني برزال[١٠٠] وبني عباد[١٠١]، لكنهم فشلوا في دفعهم عنها[١٠٢]. كذلك سجل السودانيون[١٠٣] حضورًا فعالاً في مملكة غرناطة على عهد أميرها باديس بن حبوس(٤٢٨-٤٦٥هـ/١٠٣٧-١٠٧٣م).

أما في مالقة، فقد برز دور الجند السودان في الدفاع عن المدينة أثناء فترة تبعيتها لباديس، حيث تولى هؤلاء العبيد من البربر والسودان الدفاع عن المدينة ضد هجوم بني عباد، إذ تحصنوا بقصبتها المنيعة، ودافعوا عنها دفاعًا شديدًا في انتظار وصول أميرهم باديس[١٠٤]، وهو ما عبر عنه ابن بسام بقوله: "واستصرخ السودان المغاربة أميرهم باديس فلباهم"[١٠٥]، وأسفر ذلك عن نشوب معركة طاحنة بين الجانبين، انتهت بهزيمة جند إشبيلية بقيادة المعتمد، ورحيلهم عن المدينة[١٠٦].

كذلك استعان زهير العامري[١٠٧] (٤١٩-٤٢٩هـ/١٠٢٨-١٠٣٨م) صاحب المرية[١٠٨] بالسودانيين، حيث شكل منهم فرقة عسكرية خاصة في جيشه[١٠٩]، كانت وراء مصرعه عندما غدروا به في صراعه مع باديس صاحب غرناطة[١١٠]. وليس هناك أدل على الحضور السوداني الكثيف بمدينة المرية من تسمية أحد أبواب المدينة بـ "باب السودان"[١١١].

وفي إشبيلية، نجد ذكرًا للسودانيين ضمن أعوان قاضي المدينة، مما يفصح عن احتلال بعضٍ منهم لمناصب قضائية، إذ من المحتمل أن يكون هذا الشخص خاص بالعبيد السودان، لخلق نوع من التواصل معهم، وفض النزاعات الحاصلة بينهم، حيث يقول ابن عبدون[١١٢] أنه "يجب للقاضي ألا يكون معه من الأعوان في مثل إشبيلية إلا عشرة عددًا، يكون منهم أربعة سودان ..".

وفي العصر المرابطي، فلا شك أن علاقة المرابطين مع بلاد السودان الغربي قد أكثرت من أعداد أولئك السودان في الأندلس، ولعل مرجع ذلك هو الحاجة إلي طاقتهم الحربية وتمرسهم بأمور القتال والحرب، ولذلك لم يتوان يوسف بن تاشفين بمجرد توليه السلطة عن شراء جملة من عبيد السودان

بلغوا زهاء ألفين[١١٣]. ومن المرجح أنه أضاف إليهم أعدادًا جديدة بدليل مشاركة حوالي أربعة آلاف منهم في معركة الزلاقة[١١٤]، لمهارتهم العالية وقوتهم الحربية[١١٥].

وقد أبلى أحد هؤلاء الجند السودان بلاءً حسنًا في معركة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، عندما تمكن من طعن ألفونسو السادس طعنه في ساقه كادت أن تودي بحياته، وفي هذا الصدد يقول ابن خلكان: "فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى خنجرًا كان منتطقًا به، فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه"[١١٦].

وقد سار أبناء يوسف بن تاشفين على نهجه في الاعتماد على السودان، حيث عمد ابنه على بن يوسف إلي إجبار رعيته على تقديم عدد من السودانيين ممن يعملون خدمًا في منازلهم، مع تحمل نفقات تجهيزهم بالسلاح والمال والعتاد، من أجل الاعتماد عليهم في وقف المد الإسباني المتصاعد في الأندلس سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م، حيث "وكان قسط أهل فاس ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم[١١٧].

ثالثاً: أسباب الجرائم:

إن محاولة البحث في عوامل وأسباب ارتكاب العبيد السودان للعديد من الجرائم في الأندلس، يدفعنا دفعًا قويًا إلي قراءة متأنية لأحداث الصراع المرير بين القوي السياسية المتصارعة على السلطة من العرب والبربر والصقالبة، ومحاولة كل طرف استقطاب الطرف الآخر من أجل الانفراد بالسلطة، فعلى سبيل المثال لا يستطيع أحد إنكار الدور الذي لعبه العبيد الصقالبة كقوة فاعلة وطرف أساسي في الصراع حول السلطة في الأندلس بعد زوال الخلافة الأموية، بفضل المناصب العليا التى حازوها في ميادين السياسة والإدارة والجيش[١١٨]، حتى قادهم ذلك في نهاية المطاف إلي الانقضاض والانفراد بالسلطة[١١٩]، ما كان لهذا أن يحدث لولا غياب سلطة مركزية قوية، حين "افترق الأمر في رؤساء الدولة من العرب والموالى والبربر، واقتسموا الأندلس ممالك ودولاً"[١٢٠].

وعليه فإن انحلال السلطة المركزية في الأندلس، وانشغال ما تبقي منها في الصراعات والفتن، وعدم مقدرتها على إدارة شئون البلاد بالقدر الكافي، كان سببًا في ارتكاب العديد من الممارسات الإجرامية خلال الفترة من (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣١م)، وهذه الفترة بدأت بمقتل عبد الرحمن

شنجول العامري سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[١٢١]، بسبب أطماعه في ولاية العهد، ونتج عن ذلك انحلال السلطة وجر بلاد الأندلس إلي فتنة ضاربة تمزقت فيها شر ممزق، وتحولت إلي أتون مستعر، من حروب أهلية متواصلة وفتن ومؤامرات ودسائس استمرت حتى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م[١٢٢].

فقد كان للاضطراب السياسي الذي عانت منه الأندلس آنذاك سببًا مباشرًا في شيوع الجريمة، فمما لا شك فيه أن لهيبة الدولة دورًا كبيرًا في ردع كل من تُسول له نفسه ارتكاب الجرائم، وبالتالي فإن عدم شعور الأفراد بالهيبة تجاه النظام السياسي القائم قد يؤدي بالبعض إلي الإقدام عليها، حين "تشتعل نار الفتن والاضطرابات، وتسل السيوف، فيكثر القتل والحرق والغارة والظلم، وفي أوقات الفتن والاضطراب هذه .. تقوى شوكة المفسدين .. ويسود المنحطون والسفلة .. وتضعف أمور الشرع، ويصبح الناس فوضي"[١٢٣]؛ ولذلك فإن هيبة الدولة وسيلة تحفظ نظام المُلك وتحرسه من أطماع الرعية[١٢٤].

ومن ثمة فإن الأطماع السياسية بين القوي المختلفة كانت المعول الرئيس لكثير من الجرائم والتجاوزات، فحتى يتسنى للطامع الوصول إلي ما يبتغيه من أطماع فعليه أن يقوم بتدبير المؤامرات والدسائس وارتكاب الجرائم، سعيًا نحو الوصول إلي سدة الحكم[١٢٥]، فكل من عارضه أو خالفه يكون مصيره الإقصاء والسجن والتصفية، إذ أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد[١٢٦]، و"الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية .. ولا تكون فوق يده يد قاهرة"[١٢٧].

وهذا المسوغ السلطوي تسلحت به الحجابة العامرية على أيدي مؤسسها المنصور بن أبي عامر، الذي تميز حكمه بالاستبداد، والضرب على أيدي المناوئين والمعارضين له[١٢٨]. كما اعتمد ملوك الطوائف على هذا المسوغ لتأكيد مشروعية حكمهم[١٢٩].

فقد كان للمواجهات التي وقعت بين ابن عباد صاحب إشبيلية وبني جهور في قرطبة[١٣٠] أثر كبير في انتشار جرائم السلب والنهب على الطرق والمسالك[١٣١]، "حتى انقطعت السبل جملة وكثر الهرج والسلب، وأمسى الناس في مثل عصر الجاهلية"[١٣٢].

أما في مملكة بني جهور بقرطبة، فقد تسلط أميرها عبد الملك بن محمد بن جهور (٤٥٧-٤٦٣هـ/١٠٦٤-١٠٧٠م) على أهل مملكته، فـ "اعتدى وصحب الأرذال واستباح أموال المسلمين وسلّط

عليهم أهل الفساد وأهمل الأمور الشرعية، وأخاف الطرق وشرع في المعاصي والفسوق .. فكثر الدعاء عليه من أهل قرطبة"[١٣٣]، وكلها أمور تساعد على تفشي الجرائم.

وفي مملكة غرناطة تذمر ملوكها من بني زيري من صاحب مالقة الذي بنى حصنًا لقطع الطريق بينه وبينهم[١٣٤]، كما ذهب ابن ذي النون صاحب طليطلة على عادة غيره من ملوك الطوائف في الاعتماد على اللصوص وأهل الفساد، حيث عهد إلي أحد اللصوص بمراقبة الطرق المؤدية إلى قرطبة من خلال أحد الحصون المصاقبة لها "وأبعد آماله كانت إخافة سبلها"[١٣٥]. وهكذا، ظلت الحرب سجالاً بين ملوك الطوائف، لا تكاد تهدأ حتى تبدأ.

وعلى هذا النحو، استمرت الصراعات الدموية والمؤامرات والدسائس التي تتم بين ملوك الطوائف من حين لآخر تزيدهم ضعفًا، حيث كانت تتخللها فترات من الفوضى والاضطراب وشيوع الخوف والفزع، وهو ما عبر عنه ابن الخطيب بقوله: "وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات"[١٣٦].

فقد كانت المصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية هي المحرك لهذا الصراع، حيث تميزت هذه الفترة بطغيان النزعة الفردية على العصبية القومية، ولم يعُد للضمير الديني دور في تصرفات زعماء الطوائف، ومن بعدهم أغلب الفقهاء والعلماء، وانعكس ذلك على أفراد المجتمع الذين أصبحوا يفتقدون الزعامة السياسية والروحية، التي من شأنها أن توفر الحماية من السقوط في كل ما هو محرم[١٣٧]. وهكذا، أصبح الفقهاء خلال عصر ملوك الطوائف أكبر عضد لأمراء الفتنة في تبرير طغيانهم وظلمهم، وتزكية أعمالهم في نهب أموال الرعية، حتى ضج منهم مؤرخو العصر[١٣٨].

وبما أن العبيد السودان كانوا بمنأى عن الصراع حول السلطة، ولم يكونوا ضمن الأطراف المتنازعة عليها، ربما يعود ذلك لاحتلالهم أسفل السلم الاجتماعي في الأندلس، وإلي المهام الوضيعة التي اضطلعوا بها، وإلي أنهم لم يرتقوا للوعي بذاتهم كطبقة، أو كقوة اجتماعية لها مصالحها، هذا فضلا عن كونهم لم ينالوا قسطًا من التعليم والثقافة كغيرهم من العبيد الصقالبة[١٣٩]، فلا نجد لهم ذكرًا في المناصب العليا في الأندلس، وهو ما انتهي إليه أحد الباحثين[١٤٠] عندما قرر بأن "العبيد السود .. لا نقابلهم في أي من مناصب السيف أو القلم".

وكان هؤلاء العبيد السودان يعتمدون فقط على خصالهم الجسمانية، التي رغّبت فيهم القوي السياسية المتصارعة، لاستمالتهم إلي جوارها والاستظهار بهم في ضرب بعضها البعض، فكان هؤلاء السودان آلة بشرية لقمع الخصوم والمناوئين، حتى "انفتح على المسلمين ببلد الأندلس باب شديد في إباقة العبيد، إذ نزع إليهم كل شريد وطريد، وكل عاق مشاق"(١٤١).

وعلى الجانب الآخر، سعى بعض المناوئين والثوار إلي استقطاب جماعات اللصوص وإباق العبيد وأهل الفساد والشرور والاستظهار بهم على السلطة القائمة(١٤٢)، بحيث تكثر "الفتن لاختلال الدولة، فيكثر الهرج والقتل"(١٤٣)، حتى أصبح قتل أمراء الأندلس "بأيدي الفحول من عبيدهم وأصحابهم .. كثير يشق إحصاؤهم"(١٤٤).

وهكذا سعت القوي المتناحرة في الأندلس إلي توظيف العبيد السودان كأداة سياسية وسيف يسلط على رقاب المعارضين والمناوئين، وكان انحيازهم لطرف على حساب الطرف الآخر، يُسفر عنه شيوع مظاهر الفوضي والاضطراب وانعدام الأمن المصحوب بتفشي الجرائم المختلفة(١٤٥).

ومن الجدير بالذكر أن أوضاع هؤلاء العبيد السودان المزرية في الجيش، وقلة رواتبهم بالقياس إلي غيرهم، وقيامهم بالأعمال الشاقة كافة، فضلا عن تعصب فرق الجند الأخرى ضدهم، كل هذه العوامل مجتمعة كانت وراء خروجهم وتمردهم في بعض الأحيان على السلطة القائمة(١٤٦).

ولما كان العبيد السودانيون يحتلون مكانة أدنى في طوائف الجند في الأندلس، فكثيرًا ما كانوا يسهمون في تفاقم الأوضاع، وفي تأجيج نيران الفتن والاضطرابات السياسية، مثلما حدث بقرطبة على عهد بني أمية حين خرج هؤلاء السودان على طاعتهم، فاشتدت المناوشات بينهم وبين غيرهم من طوائف الجند الأخرى، فتطاول بعضهم على بعض، وامتزج بهما عامة أهل قرطبة، متحاملين على السودانيين، الذين نالتهم جراحات فادحة، بعدما أوقعت بهم طوائف الجند والعامة، وقبضوا على كثيرين منهم، وزجوا بهم في السجون(١٤٧). وتبدو دلالة ذلك المشهد المتكرر من جانب السودانيين في إثارة الفتن والقلاقل في أنه يسهم بشكل كبير في ترويع الآمنين من الأهالي، وتعطيل حركة سيرهم.

وفي وضعية مشابهة سار القاسم بن حمود في ولايته الأولي على قرطبة (٤٠٨-٤١٢هـ/١٠١٨-١٠٢١م) على نهج معاصريه من ملوك الطوائف عندما تزايدت عزلته، وأخذ يبحث له

عن دعامة يستند عليها بعدما فقد ثقته في البربر، فوجد ضالته في العبيد السودانيين، فاستكثر منهم واتخذهم درعًا لنظامه، كي يستعين بهم في التخلص من بربر صنهاجة وسطوتهم على دولته، ومن ثم "تهالك في اقتناء السودان، وابتاع منهم كثيرًا" (١٤٨)، و"قودهم على أعماله"(١٤٩).

ولكنه لم يهنأ بذلك طويلاً، إذ سرعان ما تخلى البربر عن مؤازرته، وصبوا جام غضبهم عليه، واستاءوا مما فعله وانحرفوا عنه واحتقروه(١٥٠)، فاستغل ابن أخيه يحيى بن على بن حمود صاحب سبتة تذمرهم من سياسته ضدهم، ونجح في الاتصال بهم يحرضهم على خلعه، والتخلص من بطانته الجديدة من السودان، ملتمسًا منهم مساعدته بأن أغراهم باستعادة مكانتهم السابقة، فكتب لهم يقول: "إن عمي أخذ ميراثي من أبي، ثم إنه قدم في ولاياتكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان، وأنا أطلب ميراثي، وأوليكم مناصبكم، وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس، فأجابوه إلي ذلك"(١٥١).

وعندما جاز يحيى بن على البحر إلي قرطبة، بايعه البربر، وفر القاسم منها إلي إشبيلية سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، وكانت "آفة يحيى العجب واصطناع السفلة، واشتط أكابر البربر عليه، وطلبوا ما وعدهم من إسقاط مراتب السودان، فبذل لهم ذلك .. وفر السودان إلي عمه بإشبيلية"(١٥٢). وعلى المنوال نفسه، سار محمد والحسن ابنا القاسم بن حمود في الاعتماد على المغاربة والسودان في جيوشهم، نظرًا "لشدة ميل أبيهما إلي السودان قديمًا وإيثاره لهم"(١٥٣).

وهكذا ظل العبيد السودان يثيرون القلاقل والاضطرابات في عموم إمارات الطوائف التي تحوي أعدادًا منهم، ومرجع هذا سهولة انقيادهم لكل داعٍ يوهمهم بالوعود الزائفة، فلا يزال هذا السلوك المشين دأبهم، يعرضون خدماتهم على من يبذل لهم أكثر، دون مراعاة لأي رابطة أو ولاء، ومن الأمثلة على ذلك انقلابهم على إدريس الثاني بن على بن يحيى الملقب بالعالي(١٥٤) (٤٣٤-٤٣٨هـ/١٠٤٣-١٠٤٦م)، عندما أساء معاملتهم؛ فكان ذلك سببًا في مناصرتهم لغريمه من الأسرة ومساعدته في اعتلاء عرش الحموديين بمالقة وهو محمد بن إدريس الملقب بالمهدي(١٥٥) (٤٣٨-٤٤٥هـ/١٠٤٦-١٠٥٢م)، عندما نادوا بدعوته "وراسلوه بالمجئ إليهم وامتنعوا بالقصبة"(١٥٦).

ومن العوامل التي ساعدت على تفشي جرائم العبيد السودان في السلب والنهب عدم الانفاق عليهم من طرف مالكيهم، وهو الأمر الذي دفع بهم إلي الخروج لتحصيل معاشهم من خلال التعدي

على أموال وممتلكات الناس تحت ضغط العوز والفقر، بحثًا عن أي شيء يقتاتون به، وهو ما تبوح به إحدي الإشارات، ورغم أنها تخص بلاد المغرب إلا أنها تكشف بجلاء عن مسؤولية مالكيهم عن وصولهم لهذه الحالة المزرية، "إن أحدكم يطلق عبيده فلا يعولهم ولا يمونهم ولا يكفيهم طلب معاشهم فينطلقون في أموال الناس على غير رضا أصحاب الأموال، وعلى غير إذنهم"(١٥٧).

كذلك عُدت النظرة الدونية للعبيد السودان والمعاملة المسيئة التى تعرضوا لها سواء من طرف السلطة أو من مالكيهم من أهم الدوافع والأسباب وراء ارتكابهم للعديد من الجرائم، حيث كان هؤلاء السودان محل كراهية من عامة الناس، وهدفًا للنقد والسب والسخرية، ومثال ذلك جارية ابن قزمان(١٥٨) (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) والتي تسمى "زاد المال"، وكانت جارية سوداء، فكان يسبها ويسب قَنَوَ(١٥٩) التي أنجبتها، ويتهمها بالكذب(١٦٠).

وكانت هذه التصرفات سمة بارزة ونغمة مشتركة في مواقف الدولة ورجالها تجاه العبيد السودان، فكان يُنظر إليهم نظرة استعلائية تنتقص منهم، وتدعو إلى عدم مخالطتهم والجلوس معهم، وقد انعكست هذه الروح الاستعلائية فى كتب الأمثال الأندلسية التى حثت على عدم مخالطة السودان أو الامتزاج بهم، ومن هذه الأمثال: "من خالط الخدم ندم"(١٦١)، و"الخديُم لا يكون نديمًا"(١٦٢)، بل ودعت هذه الأمثال لاستعمال الشدة والقسوة في التعامل معهم، إذ إن "أسود بلا سياط مجال جامع بلا حصور"(١٦٣).

كما نجد صدي لهذا الواقع المتأزم الذي عاشه العبيد السودان في الاسْتُغلال المضني، وفي الأعمال الشاقة التي كان يُزُّج بهم فيها، وفي تلبية مختلف الاحتياجات والخدمات دون مراعاة لآدميتهم، فما يكادون ينتهون من عمل حتى يتولون عملاً آخر؛ لذلك كان بديهيًّا أن يشعروا بالحرمان والاستغلال الذى مورس عليهم من طرف مالكيهم، وقد دفعهم ذلك إلى الهرب بجلدهم، فيما عُرف باسم ظاهرة الإباق(١٦٤)؛ والذي كان يُعد أكبر أمنية للعبد الأسود(١٦٥). وسوف نشير في جزء لاحق من الدراسة إلي هذه الظاهرة الإجرامية.

وقد تمتد الممارسات القاسية حتى تصل إلى حد الكى بالنار(١٦٦)، الذى أشار إليه السقطى(١٦٧)، وسجلته نازلة أخرى عمن "ابتاع أمة سوداء..ثم تُوفيت عنده، فوجدَ بها عند غُسْلها

كياً فاحشاً"[١٦٨]. وقد تشمل هذه الممارسات أيضًا حبس العبد[١٦٩]، رغم ما نص عليه الفقهاء عند تأديب السيد لعبده أو أمته بأن "يؤدب كلا منهما على قدر جرمه أدباً عدلاً"[١٧٠].

ومن الأمور اللافتة للنظر ما أبداه أحد الفقهاء من استنكاره الشديد لإقدام عبيد صنهاجة – وأغلبهم من السودان كما تقدم – على ارتداء اللثام، واعتبار ذلك تطاولاً على حق أسيادهم؛ لأن العبد فى نظره إذا "تلثم وغير شكله حسبته رجلاً مثيلاً، فتجرى إلى بره وإكرامه، وهو لا يتأهل لذلك"[١٧١]، وكلها أمور ترمي في مجملها إلي ضرورة إظهار عبيد المرابطين في زى مخالف لزى الأحرار، فإن تلثموا لابد لهم من علامة يُعرفون بها، مثل أن يتلثموا بخمار أو بمئزر[١٧٢].

وكان إحساس العبيد السودان باستلاب إنسانيتهم، وانسحاق كرامتهم، يستثير فيهم نوازع الحقد والكراهية، وبما أن هؤلاء في الأصل أرقاء، فإن مفهوم الرق قد أكد على هذه النظرة التحقيرية، حيث عرفه الفقهاء على أنه: "امتهان واستخدام"[١٧٣]، و"نقص للذات المشرفة"[١٧٤].

وإذا كان تسري البيض أو زواجهم بالسود شيئًا مألوفًا، فإن زواج العبد الأسود من المرأة البيضاء كثيرًا ما كان يثير الانتقاد والسخرية من قبل فئات المجتمع[١٧٥]، وهذه النظرة الاستعلائية تتجسد في قول القاضي ابن حمدين في أسود خاصم زوجة له بيضاء، فيقول :

رأيت غرابًا على سوسنة .. فكان بشيرًا بسوء السنة

فيا مرود الساج زد عزة .. ويا مُكحل العاج زد مهونة[١٧٦]

وتأكيداً على تلك النظرة التحقيرية، حَّرم أحد الفقهاء إتيان الرجل زوجته في دبرها، في حين أحل ذلك في جواريه[١٧٧]. ولعل أبشع صور الازدراء الذي تعرضوا له من قِبل أسيادهم تلك التى تجلَّت في استخدامهم لهم حتى في قضاء حاجتهم[١٧٨]، بوصفهم أناسًا لا كرامة لهم.

ومن صور المهانة والازدراء التى تعرض لها هؤلاء العبيد هو اقترانهم بالدواب، إذ غالبًا ما يأتي الحديث عن العبيد مقرونًا بالكلام عن البهائم[١٧٩]، وهو ما ينسحب على تشبيه العبد الهارب بالبعير "الشارد والشاة الضالة"[١٨٠]. وانطلاقاً من ذلك وصفهم أحد المستشرقين[١٨١] "بالماشية البشر"، وهو توصيف قاس للغاية.

وإزاء تلك الوضعية لم يكن أمام هؤلاء العبيد سوى الرضوخ للأمر الواقع، وعدم البوح بما تحمله نفوسهم تجاه مالكيهم، والأمثال التى تركوها تعكس هذه الروح، ومن هذه الأمثال: "شتمت مولاى تحت كساى"(١٨٢)، فهو تعبير عن مدى السخط الكائن في صدورهم.

ولعل في قتل امرأة سوداء عائدة من الفرن، لم تقترف جرمًا زمن الفتنة البربرية بالأندلس إلا كونها سوداء ما يعبر عن تلك النظرة تجاه السودان، حيث يروي صاحب البيان المغرب "أن امرأة جاءت من الفرن فأوقعت قِدْرًا فانكسرت وكانت سوداء فقالوا: بربرية سوداء فقُتلت"(١٨٣).

وقد امتدت هذه النظرة الدونية تجاه السودانيين لتشمل من نبغ منهم في مجال العلم والثقافة، وهو ما تعبر عنه ترجمة صوفي أسود يدعى أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود (ت ٦٠٨هـ/١٢١٢م)، قد دُعِيَ شخصٌ إلي لقاء هذا الصوفي الأسود، فكان جوابه: "أتحملني إلي أسود عامي أعجمي لا علم عنده"(١٨٤).

ويبدو مما تقدم أن لون بشرة هؤلاء السودان كان محط سخرية من الناس(١٨٥)، حيث نتوفر على إشارة عمن "ورد عليه رجل أسود .. كريه المنظر"(١٨٦)، وهو نعت أكثر قبحًا وفظاعة في حق هؤلاء القوم، بل كانوا ينفرون من أبناء الإماء السود، فهناك من سئل "في جالب الخدم، تسرى واحدة، فأتت بأولاد سود مثل الزيتون؟ قال يلزمونه، فضحك بعض من حضر"(١٨٧).

كما كان للظروف الطبيعية والجغرافية التي نشأ فيها العبيد السودان في بيئتهم الأولي – بلاد السودان – دور في إكسابهم سلوكًا سيئًا متطبعًا فيهم. فمن المعلوم أن البيئة الجغرافية تترك بصماتها الواضحة في توجيه أفرادها نحو اعتناق السلوك العنيف، فكلما كانت البيئة قاسية ومجدبة، كلما زاد تأثيرها على المجتمع وأفراده، وهو ما أكده ابن خلدون بأن البيئة الجغرافية والمناخ يؤثران على سلوكيات وأخلاقيات الأفراد، حيث تتميز المجتمعات البدائية بطباع أفرادها الخشنة كالحدة والبأس والشجاعة والأقدام، والميل إلي العنف والتوحش وحمل السلاح(١٨٨).

وعلى هذا النحو ساعدت الظروف الطبيعة والجغرافية الصعبة التي عاشها السودانيون في أوطانهم الأولي ببلاد السودان على انتهاجهم للسلوك العنيف(١٨٩)، فهناك علاقة بين حياة هؤلاء السودان البدائية وظروف المناخ الذي عاشوا فيه، فهم أناس متوحشون، لا عهد لهم بالتمدن والعمران،

يدفعهم توحشهم إلى أكل بعضهم بعضًا[١٩٠]، ومن ثمة انعكست طبيعة الأرض القاسية على سلوكهم وأفعالهم، فحل الصراع والاقتتال والتنافر بينهم من أجل الكلأ والعشب، فأبيح بينهم السلب والنهب والخطف والغزو والإغارة[١٩١]. وهو ما أدى إلي فقدان الأمن وانتشار القتل والسرقة بينهم.

كذلك كان للمعطيات الجسدية التي تميز بها العبيد السودان دور في انحرافهم وميلهم نحو الجريمة، فالعبيد السودان – وفقا لما تقدم – ظلوا محتفظين بوظيفتهم التي تراوحت في المخيال العام بين التقزيم لحجمهم الإنساني، والثقة في قوتهم الخارقة، باعتبارهم أشخاصًا قادرين على مواجهة أحلك الظروف وأصعبها. وليس أدل على ذلك من وصف ابن بسام لهم، حيث يقول: "إن أكف بعض السودان مشققة وأطرافهم ليست بناعمة لينة، وأن عرقهم خبيث"[١٩٢].

ولعل في عدم تعجب ابن بسام من أفعالهم القذرة في الغدر والخيانة، وأن هذا طبع فيهم ما يؤكد على كثرة الجرائم التي فعلها هؤلاء، حيث يقول بعد أن عدد مساوئهم في الغدر والخيانة، أن هذه الأفعال "ليست بالبدع من أفعالهم"[١٩٣]، وكأن هذه الأفعال الإجرامية دأبهم.

وكان هؤلاء العبيد السودان يتميزون بالخفة والركض السريع، إذ كان" العبد منهم يجري على قدميه أسرع من الجواد العتيق"[١٩٤]. ومن هذا المنطلق، حرص أرباب السلطة في الأندلس على استقطاب العبيد السودان كقوة فعالة يمكن تسخيرها والاستفادة منها في صراعات القوى السياسية المتناحرة في الأندلس، فكانوا يقومون مقام الآلة في خدمة مصالح السلطة؛ نظرًا لما يُعرفون به من الخشونة[١٩٥]، والبأس والنجدة[١٩٦].

وهذه المعطيات الجسدية تعطينا دلالة رمزية على مدى قوة هؤلاء العبيد السودان، وهذا يحيلنا إلي بعض الصفات العامة التي عرف بها هؤلاء وقد تراوحت بين الجهل، والشر، وسوء الخلق[١٩٧]، والخفة والطيش[١٩٨]. وكل هذه النعوت تكشف بشكل جلي عن انحراف قيمهم وسلوكياتهم، ومن الواضح أن سلوكهم هذا مطابق لصفاتهم الخلقية، وحتى لا نقع في فخ المبالغة الفجة، ينبغي الإشارة إلي أن مرجع هذا الانحراف نابع من الواقع المتأزم الذي عانى منه هؤلاء العبيد السودان.

وعلى الجانب الآخر، سعى بعض المناوئين والثوار إلي استقطاب جماعات اللصوص وأباق العبيد وأهل الفساد والشرور والاستظهار بهم على السلطة القائمة[١٩٩]، حتى كثرت "الفتن لاختلال الدولة، فيكثر الهرج والقتل"[٢٠٠]. مما زاد من حدة الظواهر الإجرامية وكثرتها.

وهكذا، كانت حياة هؤلاء العبيد السودان بالغة إلي هذا الحد من الشقاء والتعاسة، حياة تُنكر عليهم أبسط حقوقهم، وتسحق كرامتهم، وتبتكر أساليب وممارسات أكثر شرًا وأعتى همجية لاستعبادهم وإرغامهم على الدخول في صراعات سياسية، ليست لهم فيها ناقة ولا جمل، ولا يعود عليهم من أدائها غير المآسي والأهوال، ومن ثم بات طبيعيًا أن تستثير فيهم هذه الأفعال والممارسات نوازع الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام، وبالتالي ينجرفون نحو تيار الجريمة والعنف.

رابعاً: أنواع الجرائم:

تعددت وتنوعت الجرائم التي ارتكبها العبيد السودان في الأندلس خلال الفترة الزمنية للدراسة فتراوحت ما بين الجرائم السياسية، التي ارتبطت في الغالب الأعم بالرغبة في الانتقام من المخالفين والثوار وتصفيتهم جسديًا، وجرائم أخرى تمس الأموال والممتلكات والأخلاق العامة، ارتبطت جميعها بشيوع الفوضى والاضطرابات، وقد تنوعت الأساليب والأنماط المتبعة في ارتكاب تلك الجرائم، باختلاف طبيعة الظروف المؤدية لارتكابها، وشخصية مرتكبيها، وضحاياهم.

١) جرائم العبيد السودان السياسية:

لم يكن الملوك والأمراء في الأندلس يتساهلون مع من عارضوا حكمهم، ولم يكونوا يتورعون عن أية وسيلة لعقابهم والخلاص منهم مهما كانت النتيجة وأيًا كان هؤلاء المناوئين والمعارضين، حتى لو كانوا أولي قربى[٢٠١]، فكثيرًا ما أوقع الملوك والأمراء بالوزراء والولاة والكُتاب والشعراء، وغالبًا ما يكون هؤلاء من معاونيهم، ثم ينقلبون عليهم، فيما يعرف باسم "النكبات"[٢٠٢].

وبما أن العبيد السودان كانوا من القوة والانتشار، فإن ذلك حدا بأرباب السلطة على الاستظهار بهم واستخدامهم كآلة حية مسخرة، وسلاحً فتاكٍ يستخدم لخدمة مالكيهم في أيام السلم وأيام الحرب سواء

في بلاد المغرب[٢٠٣] أو الأندلس، ومع ذلك فإن غالبية المصادر التاريخية تنأى عن الخوض صراحة أو تفصيلاً في مجريات هذه الجرائم وتفاصيلها، لارتباط أغلبها بانحرافات السلطة الحاكمة.

غير أننا لا نعدم بضعة إشارات ذات قيمة رفيعة المستوى، توسعت في الحديث عنهم، وألقت ضوءًا كثيفًا على أفعالهم وممارساتهم لإضاءة مناطق ما زالت مظلمة من تاريخ وحياة العبيد السودان. ومما يدل على شدة وطأة هؤلاء العبيد أن كتب النوازل تحفل بالعديد من الإشارات عمن أتي بأفعال قبيحة، كأن يأبق أو يسرق أو يقطع السبيل[٢٠٤]، وعمن "فسدت .. بالزنا وكثرة الإباق .. تؤدب على ذنوبها"[٢٠٥]، وعمن سعت لوضع السم لسيدها في طعامه حتى تقتله وتحصل على حريتها[٢٠٦]. كما نتوفر على إشارات أخرى عمن نقل إلي "حيث الجناة المفسدون واللصوص المقيدون"[٢٠٧]، وعمن أودع "مطبق أرباب الجرايم"[٢٠٨]، في دلالة واضحة على كثرة الجرائم وتنوعها آنذاك.

وعليه فإن تكليف العبيد السودان بمهام الاغتيالات السياسية في الأندلس يكاد يكون أمرًا شائعًا ومألوفًا، وذلك بحكم قربهم من مجريات الأمور داخل بلاطات الحكام والأمراء.

فقد يؤدي توتر العلاقات بين القوي السياسية على مناطق النفوذ إلي توظيف العبيد السودان في تنفيذ مهام الاغتيالات السياسية، بسبب ما يمتاز به هؤلاء من قوة وصلابة، ومن القرائن الدالة على ذلك محاولة الاغتيال التي تعرض لها الزعيم المغراوي زيري بن عطية[٢٠٩] على أيدي أحد العبيد السودان، وكان السبب وراء ذلك هو خروج زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر، بعد أن خاب أمله في الحصول على لقب الإمارة، الذي كان يطمح فيه، كما كان من أسباب خروجه أيضًا استبداد المنصور وحجبه للخليفة هشام المؤيد[٢١٠]، وسلبه جميع حقوقه الشرعية، ومن ثم قام زيري بن عطية سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، بقطع الدعوة للمنصور على منابر المغرب، وأعلن الثورة والخروج على طاعة العامريين، قاصرًا الدعوة على الخليفة هشام المؤيد[٢١١].

فقابل المنصور هذا التمرد بقطع الأرزاق عن زيري، كما سير إليه عدة حملات كان آخرها بقيادة ابنه عبد الملك، الذي أمره بالتشدد في محاربة زيري، وخلال المواجهات الحربية التي جمعت بين عبد الملك وزيري في وادي منى من أحواز طنجة شمالي المغرب الأقصي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، تمكن أحد

العبيد السودان يقال له كافور بن سلام، من ضرب زيري "بسكين في لبته يريد نحره، فجرحه ثلاث جراحات ولم يقض عليه، فسار الأسود إلي عبد الملك المظفر فأعلمه بضربه لزيري"(٢١٢).

ورغم أن الرواية سالفة الذكر تُرجع قيام هذا العبد الأسود بعملية الاغتيال للانتقام لمقتل أخيه على أيدي الأمير المغراوي زيري بن عطية(٢١٣)، فإنها تتفق مع رواية صاحب مفاخر البربر(٢١٤)، ورواية ابن الخطيب والناصري(٢١٥) حول لجوء العبد الأسود بعد جرحه لزيري بن عطية إلي عبد الملك المظفر ليبشره بذلك، ما يوحي بأن للأخير يدًا في تدبير محاولة اغتيال الأمير المغراوي.

ومن الجرائم السياسية التي ارتكبها العبيد السودان بحق وزراء الدولة العامرية ما أقدم عليه عبد الملك المظفر بن المنصور من قتل وزيره وكاتب أبيه(٢١٦) أبي مروان عبد الملك الجزيري(٢١٧)، الذي راح ضحية الصراع بين رجلي الدولة المظفرية وهما: عيسى بن سعيد القطاع(٢١٨) – أكبر وزراء الدولة العامرية – وطرفة الصقلي. فابن القطاع هذا رغم علو منزلته عند المنصور بن أبي عامر، فإنه لم يتنفس الصعداء إلا بعد موت المنصور، وتولي ابنه عبد الملك الحجابة(٢١٩)، حتى أصبح من الإقطاعيين الكبار(٢٢٠).

وحينما أوكل عبد الملك المظفر إلي ابن القطاع أمر تدبير شئون الدولة العامرية(٢٢١)، ثقة منه بإخلاصه، وعلمه بمقدرته وكفاءته الإدارية، لم ينل هذا رضاء الفتيان العامريين، فأخذوا ينقمون على ابن القطاع لما بلغه من مكانة عند المظفر، ويعملون للنيل منه والإطاحة به، "وحملوا طرفة فتى عبد الملك على مناوأته؛ فسمت نفس طرفة لذلك لفضل همة كانت له .. فاستخلص من أعداء عيسى لمَّة، منهم عبد الملك الجزيري .. وعرفه الجزيري .. فأصغى له طرفة وتدبر برأيه"(٢٢٢).

وحمل طرفة مولاه عبد الملك المظفر على أن يضم ابن الجزيري إلي خطة الوزارة، فما كان من الجزيري ألا أن "عارض عيسى في كل أمرٍ حتى كاد يسقطه"(٢٢٣)، بل وصلت الصراعات والمؤامرات داخل أجهزة الدولة العامرية خلال عهد عبد الملك المظفر أن "سعى بعضهم على بعض عنده حتى هلك جميعهم بيده ومضى سريعًا خلفهم"(٢٢٤). وتقودنا هذه المعطيات إلي وجود حركة واسعة داخل الدولة العامرية، كانت تهدف إلي إسقاط خلافة هشام المؤيد والحجابة العامرية، كان يقودها عيسى بن القطاع بالتعاون مع آخرين، على أن "يأخذ ما بيده لمنزلته من أولياء العامريين"(٢٢٥).

وعلى أية حال، اشتد الصراع بين طرفة وعيسى[٢٢٦]، وبذل طرفة جهودًا مضنية من أجل إفساد العلاقة بين المظفر وعيسى، حتى جاءته الفرصة عندما مرض المظفر سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، ولزم فراشه، فاستغل طرفة ذلك وانفرد بالتدبير لوحده، وأمضى كثيرًا من الأمور دون علم عبد الملك المظفر، و"جمل له ابن الجزيري بغيه وسوء رأيه، وجسره على أن يضبط الأمر لنفسه"[٢٢٧].

ولما شفى عبد الملك المظفر وعلم بما فعله طرفة، قرر الإيقاع به، فدعاه إلي مجلسه، فلم يكد يصل حتى عُدل به عن مجلس المظفر، فقُيد بقيد ثقيل، ووكل به جماعة من وجوه الغلمان مضوا به محمولاً على بغل، وخرجوا به على هذه الحالة المزرية إلي السجن[٢٢٨].

وعندما نكّل المظفّر عبد الملك بفتاه طرفة الصقلي لاتهامه بالتدبير للقيام عليه، شمل هذا الاتهام كل مَن كانت له صلة بطرفة، وعلى رأسهم صديقه ومدبر أمره الوزير والكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري، حيث اتهم الجزيري بمداخلته، فاعتقله المظفّر في قلعة طرطوشة[٢٢٩] المعروفة بالمنعة والسمو، بعد أن حمله على جمل للتشهير به، إذ يقول ابن خاقان: "وحُمل إلي طرطوشة على القتب، فبقى هنالك معتقلاً في برج من أبراجها نائي المنتهى .. فبقي فيه دهرًا لا يرتقي إليه راق، ولا يرجى لبثه راق، إلي أن أخرج منه إلي ثراه"[٢٣٠].

وخلال وجوده في السجن كتب الوزير عيسى بن القطاع إلي أعداء ابن الجزيري "يحرضهما على إبادته"[٢٣١]، حيث كانت النية مبيتة لدي عبد الملك ووزيره ابن القطاع في التخلص من الجزيري، فكانت تصفيته في محبسه على أيدي جماعة من السودان سنة ٤٩٤هـ/١٠٠٣م، دخلوا عليه في مُطْبَقه[٢٣٢] "وخنقوه، وأشيع موته، وأخرج ميتًا بعد أيام، وأسلم إلي أهله ولا أثر به"[٢٣٣].

وقد نقل لنا ابن حيان رواية عن أبيه تصف لنا الكيفية البشعة التي تمت بها التصفية الجسدية لابن الجزيري، فقال: أخبرني أبو خلف بن حسين قال: سألتُ الذي تولى قتل ابن الجزيري في محبسه، فجعل يصف لي سهولة ماعانه منه لقضافته[٢٣٤] وضعف أسره، ثم يقول: ما كان الشقي إلا كالفروج في يديَّ، دققتُ رقبته بركبتي فما زاد إلا أن نفخ في وجهي، ويعلق ابن حيان فعجبتُ من جهلِ هذا الأسود[٢٣٥]. وهكذا، دفع عبد الملك الجزيري حياته ثمنًا لحقده على عيسى بن سعيد القطاع، ولتآمره عليه مع فتاه طرفة، فكان مصيره القتل على أيدي العبيد السودان سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م[٢٣٦].

وقد ذاق عبد الملك المظفر من نفس الكأس التى أذاقها لخصومه، عندما غُدر به فاغتيل على أيدي أحد عبيده السود بواسطة السم، بتدبير من أخيه عبد الرحمن سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٧م، حيث يقول ابن عذاري: "أنه احتيل عليه بشربة دُست له مسمومة من قبل أخيه عبد الرحمن بيد أحد خدم عبد الملك .. فاضت نفسه منها"(٢٣٧). وكان عبد الملك المظفر – كما أشرنا – يمتلك مجموعة من السودان، الذين يستخدمهم ككتيبة إعدام للتخلص من خصومه على حد تعبير أحد الباحثين(٢٣٨).

كذلك عُد النزاع السياسي بين ملوك الطوائف كفيلا بأن يدرج كل فريق خصومه في عداد الأعداء، فتنالهم أيدي السلطة بأنواع مختلفة من أساليب العقاب، نذكر منها التنكيل والتشهير والتجريس بالخصوم، والحط من شأنهم وكرامتهم على أيدي آلتها البشرية من العبيد السودان، كأن تُحْلق رأس الخصم ولحيته(٢٣٩)، ويُرْدَفُ خلفه عبدًا أسود يوالي صفعه على قفاه على مرأى ومسمع من الجميع، زيادة في التنكيل والتشهير بالمناوئين، إمعانًا في إذلالهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

وكانت عادة الصفع على القفا بالأكف من أساليب العقاب في الأندلس، كان يلجأ إليها أرباب السلطة كوسيلة للتشهير بخصومهم من السياسيين، وقد اقتبسوها عن القضاة، حيث يقول الونشريسي "ومنها ما جرى به عمل القضاة في التعزير من ضرب القفا مجردًا من ساتر بالأكف"(٢٤٠)، وكان أهل قادس أشهر المعزرين بالضرب على القفا في الأندلس(٢٤١).

ومن القرائن الدالة على عادة ضرب القفا بواسطة العبيد السودان للمتآمرين والمناوئين، ما فعله أمير غرناطة باديس بن حبوس(٢٤٢) مع أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني(٢٤٣)، إذ كان باديس قد اتهم ابن عمه يدير بن حباسة الصنهاجي بالتدبير للقيام عليه وخلعه عن الحكم، ودس الوشاة لباديس أن أبا الفتوح من مشجعى يدير بن حباسة ومحرّضيه علي القيام عليه(٢٤٤)؛ بسبب صداقته الحميمة مع يدير، فخاف عاقبة ذلك، وقرر الهرب خارج غرناطة، وكان قد ترك بها زوجته وأولاده، فألقي باديس القبض عليهم، وسجنهم بالمنكب عند عبده وصاحب عذابه ويُدعى (قداح)، فاضطر أبو الفتوح الجرجاني إلي المثول بين يدي باديس مستعطفًا إياه وطالبًا منه أن يُطلق سراح أسرته، ووعده باديس بأن يعامله بما هو خليق به، فخرج من عنده يحرسه فارسان، فلما كان بظاهر غرناطة ألقى الحارسان القبض عليه، وحلقوا رأسه ولحيته، وأركبوه جملاً وأردفوه عبدًا أسود ضخمًا فظًا استمر يصفعه صفعات

متتابعة، والجمل يطوف به أحياء غرناطة للتشهير به، وقد برز الخلقُ للنظر إليه، حتى استغاث من شدة الصفع بأمين البلد برهون العدوي، وكان ممن تولى شأنه ومعاقبته مع قداح، فكلَّم له قداحًا في التخفيف عنه، فأشار قداح إلي العبد الأسود بذلك، ولولا ذلك لأتى عليه من شدة قوة الصفع[٢٤٥].

ويضاف إلي الجرائم السياسية السابقة جرائم أخرى في الغدر والخيانة كان أبطالها من العبيد السودان، ففي ظروف معينة قد يتحول هؤلاء العبيد السودان إلي خونة؛ نظرًا لسرعة انقيادهم لكل داعٍ يوهمهم بالوعود الخلابة، ومن ثم لا يتورعون عن الانضمام إلي أعدائهم كلما لاح لهم الأمل في تحسين أحوالهم على أيدي هؤلاء الأعداء. نذكر من ذلك ما أقدم عليه السودان من رجالة زهير العامري صاحب المرية[٢٤٦] (٤١٩-٤٢٩هـ/١٠٢٨-١٠٣٨م)، وكان عددهم يقارب الخمسمائة، قد غدروا به في المعركة التي دارت بينه وبين صاحب غرناطة باديس بن حبوس سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، وانقلبوا عليه في تلك المعركة، إذ كان يطمع في مدينة غرناطة بعد وفاة حبوس، وفي هذا الصدد يقول ابن بسام: "وأما السودان من رجالة زهير فإنهم غدروه أوّل وهلة، وعمدوا إلي خزانة سلاحه فنهبوها، ونادوا بشعار صنهاجة، وانقلبوا معهم، ووضعوا السلاح فيهم، وليست بالبدع من أفعالهم، وكانوا قطعة خشنة يتقاربون الخمسمائة، وكان زهير يعدّهم للنائبة، فكانوا أول من أعان عليه"[٢٤٧]، عندما تركوه وحيدًا في ميدان القتال، فـ "كانت الدائرة عليه، وقتل في المعركة"[٢٤٨].

ومن المرجح أن هؤلاء العبيد السودان من رجالة زهير كانوا من الخصيان السود، وهو ما نستشفه من تهجم ابن بلكين عليه، حيث يقول: "لم يكن زهير يصلح لشئ لغباوته وجهله. وكان قد جمع كل خصيٍ بالأندلس واحتفل؛ فبالغ. وأدركه الطمع في غرناطة، لما بلغه موت حبوس .. فأتى حتى نزل على مقربة منها .. محتقرًا لمن وَلِيَ غرناطة، يزعم أنهم أصاغِرُ وأمرهم مختل بعد حبوس، لما أراد الله من هلاكه وهلاك جنسيه الخصيان"[٢٤٩].

ومن جرائم الغدر والخيانة الأخرى التي لحقت بالعبيد والخدم من الإماء السود والخصيان على عهد الإمارة الغرناطية خروجهم وتمردهم على أميرها عبد الله بن بلكين، لصالح المرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين، حيث "رجوا أن يكونوا عنده في أعلى مرتبة .. حتى الخدم من النساء والخصيان،

كلٌّ طامع في إقبال الدنيا عليه"[٢٥٠]. ولذلك آزر هؤلاء العبيد السود المرابطين عندما حلوا على أبواب الإمارة الغرناطية وغدروا بأميرهم عبد الله بن بلكين الزيري[٢٥١].

وبعد أن عرضنا للجرائم السياسية، يجدر بنا الآن الإشارة إلي جرائم القتل الأخرى التي قد تطال الأفراد العاديين داخل المجتمع الأندلسي، وفي هذا الصدد نتوفر على إشارة تتعلق باغتيال قاضي مالقة محمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي خنقًا سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، على أيدي جماعة من العبيد السودان؛ بسبب حقد رجل غريب من أهل مالقة عليه يعرف بابن البزلياني كان يطمح في تولي خطة القضاء بالمدينة، وكان وجود القاضي أبي الحسن النباهي عقبة في طريقه، فدبر البزلياني للتخلص منه عند ابن الفاسي بقرطبة، وكان ابن الفاسي هذا يتولى إدارة ضيعة النباهي بقرطبة، والتي "كثيرًا ما كان ينصرف إليها، وابن الفاسي يتولى إصلاحها. فلما أتى قدره، مضى على عادته لجهة قرطبة، ونزل بقريته؛ فهبط إليه ابن الفاسي، يقول له: شرفني يا سيدي بالطلوع إليّ، والقبول لضيافتي، وما هي إلا من مالِكَ ومتاعِكَ في الحقيقة، فطلع هو ومن كان معه من الفقهاء .. فلما أتم الطعام، أراد الانصراف، وابن الفاسي قد هيأ له سودانًا، متأهبين لأخذه، فبادروا به وخنقوه، وأطلق الآخرين، وعدد عليه قبل ذلك ما أفسده من توليته مالقة"[٢٥٢].

٢) جرائم العبيد السودان ضد الأموال والممتلكات :

ويُقصد بها الجرائم التي تُلحِق الأذي والضرر بالأموال العامة والخاصة للأفراد أو الدول، مثل جرائم السرقة والسلب والنهب واللصوصية وقطع الطريق، وهذه الجرائم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأزمات الاقتصادية وفترات الاضطراب السياسي[٢٥٣]. فمن الثابت أن اندلاع الفتن والثورات الداخلية، واضطراب حالة الأمن في المجتمع، لاسيما في أوقات ضعف سلطة الدولة، يؤدي غالبًا إلي انتشار جرائم السرقة والسلب والنهب، إذ عادة ما "يزداد الفساد والحرابة بسبب عدم السلطان وكثرة الحروب"[٢٥٤]، وبالتالي يدب الفزع والرعب في أوساط الناس، ويشتد الهرج ويقل الأمن، ويكثر "التعدي في الطرق والدوابر في السبل، والفتك بالرفاق"[٢٥٥].

ولم تكن حالات التعدي على الأشخاص تقتصر على الأموال والمتاع والسلاح فحسب[٢٥٦]، بل شملت أيضًا الاعتداء عليهم وإيذائهم بدنيًا ولفظيًا، وهو ما نوه إليه ابن سهل الأندلسي خلال حديثه عن

جماعة من قطاع الطرق في الأندلس خلال عصر المرابطين كانوا يتعرضون "بالأذى للناس باللسان واليد والشر والردى والفساد والبسط، والتعدي على الناس"(٢٥٧).

ولما كان العبيد السودان أكثر فئات المجتمع الأندلسي تأثرًا بالأزمات من حيث الفقر والعوز، فلا غرو إذن أن يكون معظم اللصوص والسلابة من هؤلاء السودان، الذين عجزوا عن تحصيل معاشهم وكانوا من زمرة المعدمين، الذين لا يجدون ما يسدون به رمق الجوع، فلجأوا إلي احتراف أعمال اللصوصية وقطع الطريق كوسيلة لمواجهة فقرهم، حيث دفعت الحاجة بهؤلاء السودان إلي ارتكاب جرائم السرقة والقيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطريق(٢٥٨).

وعليه سنحاول توظيف ما يتواتر إلينا من إشارات في هذا السياق والتي من شأنها أن تستحضر بعض المعطيات حول اقتراف العبيد السودان لأعمال النهب واللصوصية، ومن هذه الإشارات ما أورده ابن عذاري عن تعرض الطنجيين من السودانيين بالسلب والنهب لبعض طوائف العامة التي خرجت إلي محلة الربض بقرطبة لمشاهدة خروج الجيش الأموي النازح إلي إفريقية لمحاربة الفاطميين سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، مستغلين حالة الهرج التي أحدثها السفلة والغوغاء، ممن تراشقوا بالحجارة محاكين لما يحدث في ميادين القتال، وبعد تفوق طرف منهم على الآخر، انبسط المنتصرون على المغلوبين، وشاركهم في ذلك السودان مدفوعين بشرهم وجهلهم الشديد، ولم يسلم المارة منهم، فـ "انبسطوا على النساء، فسلبوهن ثيابهن، وفضحوا كثيرًا منهن"(٢٥٩).

كما تحيلنا كتب الأمثال الأندلسية على مخزون ثقافي لدي العامة عن وجود ممارسات سرقة كان أبطالها من العبيد السودان، وأنهم ذوو سلوك سيء متطبع فيهم، ومن هذه الأمثال: "أقل للأسود: اشكتعمل لو كنت سلطان؟ قال نخذ ألف مثقال ونهرب!"(٢٦٠). وهذا المثل يُعد دليلاً صارخًا على ما عُرف عن العبيد السودان من شهرة في ارتكاب الجرائم السرقة.

كذلك يفهم من الدعوة التي أطلقها ابن عبدون (ت٥٢٥هـ/١١٣١م) بضرورة تشديد الرقابة في المراسي الأندلسية حول عبور العبيد السودان إلي اقترافهم لجرائم اللصوصية والنهب، وخوفه على المجتمع الأندلسي من ممارساتهم الإجرامية، وتعديهم على أموال الناس، حيث يقول: "يجب أن يحد للمعدين في المراسي أن لا يجوزوا أسود أو خادمًا بربريًا ممن يعرف أن لهم تعديًا على أموال

الناس"[٢٦١]. مما يعني أن الفساد المتفشي بين العبيد السود هو صفة متأصلة فيهم، ولذلك فإن هذه الدعوة الصريحة التي أطلقها ابن عبدون يجب أن تؤخذ على محمل الجد.

فهؤلاء العبيد في نظر ابن عبدون "لصوص مفترصون الغفلة يأكلون أموال الناس بالباطل ومال السلطان ويصنعون ما شاؤوا"[٢٦٢]، حتى أنه "لا تكاد في الأندلس تخلو من سماع دار فلان دُخلت البارحة، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه .. وذلك لشطارة عامتها، وكثرة شرهم"[٢٦٣]، في دلالة واضحة على رواج جرائم اللصوصية، وارتباطها الوثيق بتردى الأوضاع السياسية والاقتصادية.

ومما يؤكد على شيوع هذا اللون من الجرائم خلال تلك الفترة أن ابن عبدون ذكر في نهاية رسالته بأنه قد جمع فيها ما ينفع المسلمين ويصلح من "شأنهم ما قدرنا عليه، وما كانوا في العصر محتاجين إليه"[٢٦٤]، بل الأدهى من ذلك أن هذه الممارسات قد تحولت إلي ظاهرة عامة عانى منها المجتمع الأندلسي بكل أطيافه خلال القرن ٥هـ/١١م، ومن القرائن على ذلك ما أقدم عليه جياع أهل قرطبة ومنهم العبيد أثناء صراع أهل المدينة مع البربر، حيث سطوا على حظائر المواشي بالمدينة "يسرقونها ويذبحونها فيأكلها الناس كالحلال الذي لا شك فيه"[٢٦٥]، بل إن هناك من قام بالتعدى على حمل عنب فسرقه مبررًا ذلك بقوله أنه "أخذه كما يأخذ الناس"[٢٦٦].

وقد شدد ابن عبدون في ضرورة فرض حراسه صارمة داخل المدن والأحياء من جانب السلطة، حيث يرى أن أرباب الجرائم من "السراق والذعرة والطائفين بالليل يرتقبون مشي الحرس، وينطلقون بعد ذلك لطلب الشر والفجور"[٢٦٧]. ولذلك فمن البديهي أن تعرف فترات الفتن والاضطراب السياسي انتشارًا واسعًا لعمليات السلب والنهب واللصوصية، نظرًا لغياب الملاحقة الأمنية وانفلات الأمور من يد السلطة الحاكمة، ومن ثم تشتد وطأة العبيد السودان وسطوتهم داخل المجتمع في أعقاب هذا الانفلات، ليقوموا بأعمال وممارسات ربما لم يكن ليقوموا بها في ظروف آمنة مستقرة[٢٦٨].

ومن الأمثلة علي ذلك استغلال عبيد البربر ومنهم السودان فرصة الاضطراب السياسي الذي نزل بالعاصمة الأموية قرطبة[٢٦٩] سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م أثناء دخول سليمان بن الحكم الأموي إليها، وأقدموا علي "نهب دورٍ من أرباض قرطبة"[٢٧٠].

ولما اعتلى القاسم الحمودي سُدّة الخلافة بقرطبة للمرة الثانية سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، بعد فرار يحيى بن على الحمودي عنها إلى مالقة، استرد أنصاره من البربر والسودان نفوذهم وسطوتهم بالمدينة، فأساءوا السيرة، واشتطوا في معاملة أهل قرطبة، وتسلطوا عليهم في الأسواق وانتهبوا أموالهم[٢٧١]، فكان ذلك سببًا في ثورة أهل قرطبة عليه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلي استغلال العبيد للحريق الذي نشب في أحد أسواق قرطبة وقاموا بنهب ما لم تحرقه النار[٢٧٢]، وإن كانت الرواية لم تفصح عن التركيبة الاثنية لهؤلاء العبيد، إلا أن ذلك لا ينفى وجود العبيد السودان بينهم. كما وصل الحال بعامة المدينة أنهم "اقتسموا البلد بين أنفسهم وملكوه لا ينازعهم فيه أحد إلا قتلوه ولا يمتنع عليهم موضع إلا حرقوه"[٢٧٣]، بل لم يتورع عامة العبيد عن سرقة ونهب حصر وقناديل وصفائح أبواب جامع الزهراء[٢٧٤].

كما عمد العبيد السودان من رجالة زهير صاحب المرية بعد أن غدروا به "إلي خزانة سلاحه فنهبوها"[٢٧٥]، وملأوا أيديهم منها، وتسببوا في شيوع الفوضى والاضطراب في جيشه.

ولم تقف ممارسات وجرائم العبيد السودان في السلب والنهب عند هذا الحد، بل امتدت لتطال الضعفاء من الناس وخاصة النساء، نذكر من ذلك ما تعرض له نساء بني دمر[٢٧٦] على أيدي من جنود باديس بن حبوس صاحب غرناطة أثناء حملته عليهم، حيث "استحوذ السودان وسفال العسكر على النساء فكانت أخبيتهم مملؤة منهن إلي أن برح باديس بعد ثلاثة أيام عليهن فطردوهن عاريات حافيات"[٢٧٧]. ولا شك أن هذه الواقعة تعكس مدى المعاناة التي يقاسيها النساء في مثل هذه الظروف، وبث الرعب والفزع في نفوسهم.

وفي الإطار نفسه، انتهز العبيد السودان إطلاق القائد الإسباني الكنبيطور[٢٧٨] للضعفة من نساء وأطفال مدينة بلنسية[٢٧٩] عند اشتداد الضغط المرابطي[٢٨٠] عليها، فتعرضوا لهن بالنهب والسلب، عندما عمد هذا الطاغية إلي أبعاد النساء والأطفال عن المدينة، فأذعن الأهالي لطلبه وبدأوا يخرجون بنسائهم وأطفالهم إلي معسكر المرابطين، وفي أثناء ذلك "وقعن إلي أيدي السودان وخدمة الدواب والسفلة من الباعة، فغلبوا عليهن وفسقوا بهن"[٢٨١]، وللأسف لم يُرفع ذلك الخبر إلي قائد المرابطين ليقوم بواجبه في النهي عن هذا المنكر.

وكان الكنبيطور خلال فترة سيطرته على بلنسية قد "انقطع إليه من أشرار المسلمين وأرذالهم وفجارهم وفساقهم، وممن يعمل بأعمالهم خلق كثير تسموا بالدوائر، وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات ويقتلون الرجال، ويسلبون النساء والأطفال، وكثير منهم ارتد عن الإسلام ونبذ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، إلى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة وقدح خمر ورطل حوت، ومن لم يَفْدِ نفسه قطع لسانه وفقئت أجفانه، وسلطت عليه الكلاب الضارية، فأخذته أخذة رابية"(٢٨٢).

وخلال عصر المرابطين، استغل بعض السراق واللصوص وقطاع الطرق من العبيد السودان زي اللثام الذي كان حكرًا على المرابطين، كونهم يلتزمون اللثام، ولا يتخلون عنه(٢٨٣) في ارتكاب جرائم السلب والنهب، مستترين في ذلك بارتدائهم له كنوع من التضليل والتمويه، وهو ما تفطن له وحذر منه ابن عبدون بقوله: "يجب أن لا يلثّم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يُلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابًا من الفجور كثيرة بسبب اللثام"(٢٨٤).

وكان اللصوص وأهل الشر يتخذون من "المواضع المنقطعة النائية عن العمران"(٢٨٥) مرتعًا ومستقرًا يمارسون فيه أعمال الإغارة والسلب والنهب. ونذكر من ذلك إحدى قرى غربي الأندلس، والتي وصفت على أنها "كهفًا لقاطعي السبيل وملاذًا للمفسدين في الأرض"(٢٨٦)، وكانت تضرب أعناق هؤلاء اللصوص والقطاع عندما يقعون في قبضة السلطة جراء ما ارتكبوه من جرائم(٢٨٧).

٣) جرائم العبيد السودان الأخلاقية:

أ- **جرائم الاغتصاب:**

شكلت فترات الفوضى والاضطراب السياسي وانعدام الأمن في الأندلس خلال فترة الفتنة التي شهدتها بلاد الأندلس مرتعًا خصبًا عانت فيه المرأة الأندلسية عنفًا جسديًا بالغ القسوة من خلال التعدي عليها وانتهاك واستباحة عرضها، بمباركة من السلطة الحاكمة رغبة منها في الانتقام والتشفي من الخصوم والمناوئين، الذين تعاملت معهم على أنهم أعداء، ومن الطبيعي أن تسفر هذه الاضطرابات عن ازدهار جرائم اغتصاب النساء(٢٨٨)، فكان من نتيجة هذه الفتنة أن "نُهبت ديار البربر وهتك حريمهم وسبي نساؤهم وباعوهن في دار البنات"(٢٨٩)، التى كانت مقرًا لممارسة الرذيلة.

وعلى هذا الأساس، لم تكن جرائم اغتصاب النساء بعيدة عن ممارسات السودانيين سواء في بلاد المغرب[٢٩٠]، أو في الأندلس، فلا يزال هذا دأبهم – وفي هذا القطر الأخير موضوع دراستنا – نتوفر على إشارات تبوح بذلك صراحة من أن العبيد السودان قد انغمسوا بشراهة في هذه الممارسة الشائنة، نذكر من ذلك استغلال العبيد السودان لحالة الهرج التي حلت بقرطبة سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، فامتدت أيديهم إلي نساء المدينة، فسلبوهن ثيابهن، وفضحوا كثيرًا منهن، بعدما أصبحوا عرايا، فتوارى هؤلاء النساء المجردات من الثياب في الزروع القريبة من المكان "حياءً من الناس، وترقبًا لوقت تفرقهم"[٢٩١]. ولابد أن هذا الأمر قد صاحبه انتهاك واستباحة عرض هؤلاء النساء من جانب السودانيين.

وفي وضعية مشابهة نتوفر على إشارة تنص صراحة على ارتكاب العبيد السودانيين لجرائم انتهاك واستباحة أعراض النساء، نذكر من ذلك ما أقدم عليه العبيد السودان من جنود باديس[٢٩٢] بن حبوس صاحب غرناطة أثناء حملته ضد بني دمر في مورور[٢٩٣] وأميرهم محمد بن نوح[٢٩٤]، حيث استباح هؤلاء السودان أعراض نساء بني دمر وعفافهم، بعدما قصدوا حصنًا من حصون بني دمر ونازلوه "منازلة بلاد الروم، حتى أقاموا على هذا الحصن أيامًا يقاتلونهم مقاتلة الكفار، حتى دخلوه عنوة فقتلوا جل رجاله عن آخرهم، وهتكوا الأستار، وفتكوا بالأبكار، حتى كانت دماؤهن تسيل على أقدامهن عاريات باكيات"[٢٩٥].

وفي هذا النص دلالة صارخة على مدى القسوة والتعامل الوحشي من جانب باديس وأتباعه من العبيد السودان ضد بني دمر ونسائهم، فقد تعاملوا مع أهل الحصن معاملة الأعداء بطريقة وحشية، قتلوا الرجال، وفتكوا بالنساء، وهتكوا أعراضهن، رغبة في التشفي والانتقام. وكل هذه الأفعال ليست بغريبة على باديس وأتباعه، فقد عرف عنه أنه كان "عاتيًا .. عادلاً عن سنن العدل وطريقه، يجترئ على الله غير مراقب، ويسري إلي ما شاء لا متقيًا للعواقب، قد سبقت إساءته إحسانه .. رجل لم يبت من ذنب على ندم، ولا شرب الماء إلا من قليب دم .. لم يبت له جار إلا على وَجَل"[٢٩٦].

ب- جرائم الزنا والبغاء:

من المعروف أن بعض مدن الأندلس قد اشتهرت بوجود دور لممارسة الزنا والدعارة[٢٩٧]، تستقطب راغبيها من المارة والزبائن، حتى صارت هذه الدور من المعالم الرئيسية في هذه المدن، بل عُد

هذا الأمر على أنه شيءٌ طبيعي ومقبول ومهنة رسمية، ومصدر لدخل الدولة التي اعترفت بالبغايا، وفرضت عليهن ضرائب مقررة[٢٩٨]. وقد عرفت تلك الأماكن بـ "دور الخراج"[٢٩٩] أو "دار البنات"[٣٠٠]، ومن المدن التي لاقت بها تلك الممارسات رواجًا مدينة قرطبة، التي عرفت بها هذه الأماكن تحت مسمى "ديار الفساد"[٣٠١]، وكذا مدينة برشانة[٣٠٢] التي كان "للمجون بها سوق وللفسوق ألف سوق"[٣٠٣].

ونلمس ذلك صراحة في إشارة في غاية الأهمية تفيد بارتكاب الجواري والإماء السود لجريمة الزنا تحت ضغط وإجبار النخاسين[٣٠٤]، ليستولوا على ما يأتين به من كسب مادي، فلم يتورع هؤلاء النخاسون عن الخوض في جريمة البغاء، وفي توفير الإماء لمن لديهم رغبة في المتعة أو التسري، وفي إشباع حاجة دور البغاء، حيث يروي لنا السقطي[٣٠٥] قصة رجل عاين ذلك مع رجل غني سمع النخاس يخاطبه قائلا "خمسة دراهم تعطيني والله وحينئذ أسوقها لك، وأعطاه صاحبه الذي طلب ثم خرج عنا وغاب قليلا وجاء بخادم سوداء .. قد التحفت بكساء أبيض .. وأشار لها إلي غرفة بالبرانية فطلعتها وطلع صاحب الدار بعدها وخلى بينهما ومشى لوجهه".

ومن ثمة تُعد جريمة الزنا ممارسة قبيحة لازمت العبيد والإماء السود، وسارت في ركابهم، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من أفعالهم في القبح والشرور، وهو ما تخبرنا به كتب الأمثال الأندلسية التي أمدتنا بأمثلة حول اقتراف الإماء السود لجريمة البغاء، ومن الأمثلة على ذلك "سود زنت! قال: قلة انكسرت"[٣٠٦]، بمعنى أن الأمر لا يعدو أن يكون تافهًا، ولا يستحق الاهتمام، وكأن إتيان الإماء السود وممارسة الدعارة معهن يُعد أمرًا طبيعيًا في حقهن، وتذكيرًا لهن بوضعهم الاجتماعي بوصفهم أناسًا لا كرامة لهم، بل لم يتورع أهل الشرور والفساد عن اصطحاب النساء من البغايا إلي المساجد النائية لارتكاب الفسق والفجور[٣٠٧].

ولعل في تحذير البعض من خروج الإماء منكشفات لتلبية حاجيات الأسرة، فيجتمعن بـ "الفسقة من العبيد وبعض الأحرار على ما ظهرت آثاره في كثير من الدور بولادة الخدم فيهن أبناء الزنى"[٣٠٨]، ما يؤكد شيوع جرائم الزنا والدعارة بين العبيد والإماء السود.

وفي محاولة لدراء هذه المفاسد أوجب الفقهاء على الإمام منع ذلك، حيث علق أحد الفقهاء على هذا الانحلال الأخلاقي بقوله: "فإن خرجت اليوم جارية .. مكشوفة الرأس في الأزقة والأسواق لوجب على الإمام أن يمنع ذلك"(٣٠٩).

ففي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، عبرت إحدى شاعرات مدينة غرناطة وتدعى حفصة الركونية(٣١٠) عن استيائها الشديد وحزنها لتعلق حبيبها أبي جعفر بن سعيد، الذي هام في حب جارية سوداء، اعتكف معها أيامًا وليالي بظاهر غرناطة(٣١١).

ت- **جرائم الشذوذ الجنسي:**

ابتلى المجتمع الأندلسي كغيره من المجتمعات الأخرى بتفشى جريمة الشذوذ الجنسي، حتى راج بين أهل العصر محبة الذكران من الفتيان والغلمان، فوجدنا من الناس من أهمل "داره وإباحة حريمة والتعريض بأهله طمعًا في الحصول على بغيته من فتى كان عَلِقه"(٣١٢)، وعمن "هرب بين النساء لتخنيثه، ولم يتميز منهن"(٣١٣)، وعمن "كان يحب الغلمان"(٣١٤).

إذ كانت آفة التغزل بالغلمان السود، وكلف الأندلسيين بهم ظاهرة مألوفة ومنتشرة على نطاق واسع في المجتمع الأندلسي؛ بسبب عموم الفوضى وانتشار الانحلال الأخلاقي، حتى أصبح الشاعر لا يجد تحرجًا في قول الشعر فيها، وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب :

بنفسي حالك شبه السويدا لذلك ما يحن له الفؤاد

أطيل له التفاني والتماجي لأن العين ينفعها السواد(٣١٥)

وتفيض المصادر المعاصرة بأخبار طائفة من الشواذ المخنثين وجدوا في مدينة قرطبة، تجمعوا في حى منها اسمه درب ابن زيدون، فكان الناس إذا أرادوا التعريض بإنسان قالوا: إنه من درب ابن زيدون، وقد أطلق عليهم اسم "القطماء"، ذاعت شهرتهم بقرطبة، إذ "ليس بالأندلس بلد قد شهر بكثرة القطماء مثل قرطبة، وخاصة منه درب ابن زيدون، فيقولون في التعريض: هو من درب ابن زيدون"(٣١٦)، وقد ساعد على استفحال تلك الجريمة كثرة وجود المخنثين بها(٣١٧).

ولا مجال للشك في أن العبيد السودان كانوا يمارسون أعمال القطيم، رغم أننا لا نتوفر إلا على عدد قليل من الإشارات في هذا الصدد، ورغم ذلك فإنه يستدل منها على أنهم كانوا يستخدمون في الخلوات التي يمارس فيها الشذوذ والعلاقات المحرمة(٣١٨).

وفي وضعية أخرى مع ما تقدم ذكره، فإن كتب أمثال العوام في الأندلس تخبرنا عن استخدام الأندلسيين للعبيد السود في الخلوات(٣١٩)، كما أن تفضيل الأندلسيين للعبد الأسود على الأبيض كان لأغراض مبتذلة، ومن الأمثلة على ذلك مثل يقول: "لا تَعْمَلْ خَصْلَ إلا مع أسْوَدْ"(٣٢٠). وعليه فإننا نعتقد أن اتخاذ الجواري والإماء السود في العلاقات الشاذة في المجتمع الأندلسي لا يشذ عن القاعدة العامة التي ميزت مجتمعات تلك الفترة.

على أن هذا كله لا يخفف المسئولية عن كاهل أمراء الأندلس لاسيما في عهد ملوك الطوائف، بسبب ما أسهم به كثيرون منهم في حياة الفسق والمجون والرذيلة، فكانوا لا يتحرجون من ارتكاب الفواحش والموبقات، حتى نعتهم البعض بأنهم "منشغلون بشرب الخمور، واقتناء القيان، وركوب المعاصي، وسماع العيدان"(٣٢١)، وشخصهم البعض الآخر بـ "تواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة، وإنما همة أحدهم كأسٌ يشربها وقينةٌ تُسمعه، ولهوٌ يقطع به أيامه"(٣٢٢).

٤) جرائم إباق العبيد السودان (الفرار):

عُد إباق العبيد السودان أو هروبهم من أسيادهم من الجرائم التى كانت شائعة ومألوفة خلال فترة الدراسة، فالعبيد لم يكونوا يستسلمون كلية لعبوديتهم، وإنما كانوا بين الحين والآخر يتحدون هذه العبودية بوسائل ومظاهر شتى، منها الإباق أي الفرار، وكانوا يَلْجَأون إلي تلك الحيلة عندما لا يجدون مخرجًا لتحريرهم من نير العبودية، ودليلنا على ذلك هو ارتباط العبيد السود في ذهنية المجتمع الأندلسي بالتمرد والعصيان، ومن الأمثلة على ذلك أن الأديب الشاعر ابن أبي الخصال (٥٤٠هـ/١١٤٦م)، قد اجتاز وهو صبي صغير بمدينة أبدة(٣٢٣) يطلب الأدب، فأضافه بها القاضي ابن مالك، ثم خرجا معًا إلي حديقة معروشة، فقطف له القاضي عنقودًا، وهو يقول: انظر إليه في العصا، فرد عليه ابن أبي الخصال بقوله: كرأس زنجي عَصَى(٣٢٤).

ولهذا كان الإباق أكبر أمنية للعبيد السود، للتخلص من الظلم الصارخ الذي يحدق بهم، والإهدار الكامل لآدميتهم، فهم بشر شأنهم شأن مالكيهم، والنزعة إلي الحرية كامنة في أعماقهم، وهو ما دللت عليه الأمثال الأندلسية، ومنها: "أقل للأسود اشكتعمل لو كنت سلطان؟ قال نأخذ ألف مثقال ونهرب"(٣٢٥)، وكذا "افتش عن أسود فالظلمة"(٣٢٦)، وهذان المثلان يشيران إلي إلي جريمة إباق العبيد السود، وسجنهم بسبب ذلك، إذ إن العبد الآبق إذا تم القبض عليه، كان يسجن حتى يأتي صاحبه(٣٢٧).

وعلى هذا النحو شكّل إباق العبيد خطرًا كبيرًا يؤرق السلطة القائمة ويقلقها، خوفًا من انضمامهم إلي حركات المعارضة والثورة، حيث لم تجد حركات المعارضة بدًا من استقطاب هؤلاء العبيد، واستغلالهم في الثورة ضد السلطة القائمة(٣٢٨)؛ ولذلك حرصت الكيانات السياسية في الأندلس على تقييد حرية العبد الآبق، حيث اتفقوا فيما بينهما على ألا يأوي أيًا منهما "حرًا نازعًا ولا عبدًا آبقًا"(٣٢٩).

وعادة ما كانت جريمة الإباق تقترن بجريمة السرقة(٣٣٠)، إذ عادة ما يقوم هؤلاء العبيد بسرقة ممتلكات أسيادهن ثم يلجأون إلي الهرب(٣٣١)، أو من خلال احتراف أعمال اللصوصية وقطع الطريق(٣٣٢)، حتى نعتهم بـ "ذعار اللصوص وأباق العبيد وأخابث أهل الحرابة والشرور"(٣٣٣)، الذين "يرتكبون من الكبائر ما شاؤوا، ويسترسلون من الجرائم والمآثم فيما اشتهوا وأحبوا، ولا وازع يزعهم، ولا مانع يمنعهم، ولا قادع يزجرهم"(٣٣٤).

ومن العوامل التي ساعدت على استفحال جريمة إباق العبيد خلال حكم ملوك الطوائف تمكن بعض العبيد الصقالبة من إقامة حكم خاص بهم في بعض المدن الأندلسية مثل بلنسية التى قام بها عبدان عامريان هما مبارك ومظفر(٣٣٥) فيما بين (٤٠٧-٤١٢هـ/ ١٠١٦-١٠٢١م)، مما شجع على توافد إباق العبيد ومنهم السودان إلي بلنسية، فـ "انفتح على المسلمين ببلد الأندلس باب شديد في إباقة العبيد، إذ نزع إليهم كل شريد وطريد، وكل عاق مشاق"(٣٣٦).

وقد دفعهم إلي ارتكاب هذا الفعل أن مالكيهم كانوا يتصرفون ضدهم بعنف وقسوة، ولم يكونوا يتورعون عن وضع علامات العبودية أجسامهم كتلك التي توسم بها البهائم لإعاقة هروبهم، وهي علامات كان يتعذر على العبيد إزالتها، إمعانًا منهم في تحقير شأنهم، وتضييق الخناق عليهم(٣٣٧).

خامساً: آثار الجرائم ومحاولة التغلب عليها :

خلفت الجرائم التى اقترفها العبيد السودان ومن على شاكلتهم في الأندلس أضرارًا بالغة الخطورة على مناحي الحياة الأندلسية كافة، هذا فضلا عما تلقيه من تبعات سيئة على السلم الأسري، لما ينتج عنها من أضرار تؤثر على الأفراد والأسرة والمجتمع بأكمله. وبالتالي تشكل الجرائم بأنواعها المتعددة مشكلة تهدد أمن واستقرار المجتمع.

فالجرائم السياسية على سبيل المثال لم تكن لتمضي دون أن تخلف وراءها آثارًا واضحة على الأسرة والمجتمع على حدٍ سواء، فتخلص السلطة من بعض المناوئين لها، كان يترك آثارا واضحة على أسرهم وعائلاتهم، وهو ما ينعكس على وضع الأسرة وحياة أفرادها، مثلما حدث مع أسرة الأديب أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني – سالف الذكر – الذي نكل به وبأسرته أمير غرناطة باديس بن حبوس، عندما "قبض عليهم وسجنهم بالمنكب عند قداح عبده وصاحب عذابه"(٣٣٨).

وكان لقداح عبد باديس هذا سطوة كبيرة، وحاشية من السودانيين عُرفت بـ "زبانية قداح"(٣٣٩)، تولت التنكيل بأبي الفتوح الجرجاني عندما وقع في قبضتهم "فحلقوا رأسه وأركبوه على بعير وخلفه أسود ضخم يُوالي صفعه، فأدخل غرناطة مشهرًا بهذه الصفة وعلى هذه الحال"(٣٤٠).

أما فيما يتعلق بجرائم العبيد السودان في السلب والنهب فقد تركت آثارا واضحة عانى منها كثيرٌ من الأفراد والأسر، حيث يزداد الأمر سوءًا حينما يتعلق بأمان الناس وممتلكاتهم، التى كانت عرضة للسلب والنهب من جانب السراق واللصوص وقطاع الطرق، وبالتالي كان لزامًا على الدولة التصدي لتلك الظواهر الإجرامية، وأن تأخذ من التدابير والاحتياطات ما يوفر للناس الحماية والأمان على أموالهم وممتلكاتهم، وهو ما تفطن إليه ابن عبدون عندما طالب بتشديد الرقابة في الموانئ الأندلسية على عبور السودان، خوفًا على المجتمع من ممارساتهم الإجرامية، وتعديهم على أموال الناس، حيث يقول: "يجب أن يُحد للمُعّدين في المراسي أن لا يجوزوا أسود أو خادمًا بربريًا ممن يعرف أن لهم تعديًا على أموال الناس"(٣٤١).

كذلك لجأت السلطة إلي اتخاذ تدابير احتياطية أخرى للحد من جرائم السلب والنهب وقطع دابر أهل الشر، وهو ما عبر عنه المقري بقوله: "أن بلاد الأندلس لها دُروب بأغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل

زُقاق بائتٌ فيه، له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم، وإغيائهم في أمور التلصص"[٣٤٢]، ليس هذا فحسب، بل أن السلطة ممثلة في بعض رجالاتها كانت تتعقب هؤلاء اللصوص والقطاع وتضرب على أيديهم دون أية شفقة، ف "يفحص عن مكامنهم حتى يغص بالروع نفس أمنهم، فلا يستقر بهم موضع"[٣٤٣].

ورغم هذه التدابير التي لجأت إليها السلطة، فإن ذلك لم يضع نهاية لعبث اللصوص والسلابة؛ لأن الأمر برمته كان يتوقف على شدة الوالي ولينه، وكون سيفه يقطر دمًا[٣٤٤].

أما الأهالي، فكانوا يبذلون قصارى جهودهم لحماية أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم من تعدي قطاع الطرق من العبيد السودانيين وغيرهم من الفئات، فكان أهل مدينة قرطبة بسبب ما يتعرضون له من أعمال السلب والسرقة "يتحارسون الليل كله، ويُكابدون من روعات طُرَّاقه ما لا يُكابد أهل الثغور من العدو"[٣٤٥]، أو يتخذون الكلاب في منازلهم خوفًا من السرقة[٣٤٦]، أو يجعلون لأبواب منازلهم أقفالاً غلاظًا تقفل بإحكام لحمايتها من اللصوص[٣٤٧]، أو يلجأون إلي بعض الحيل والخدع كحفر حفرة داخل الدار ليقع بها السارق إذا ما داهمها ليلاً[٣٤٨].

وغالبًا ما كان يعاقب قطاع الطرق واللصوص الذين كان يتم إلقاء القبض عليهم بالقتل والطواف برؤوسهم[٣٤٩]، أو بالصلب[٣٥٠] مثلما حدث بقرطبة التى صُلِبَ على نهرها ثلاثون لصًا من قطاع الطرق[٣٥١]، أو يلقى بهم في السجون العامة إلي جانب السفلة والغوغاء[٣٥٢].

وكان للجرائم آثار واضحة على بنية المجتمع الأندلسي، وزعزعة القيم والعادات التي يؤمن بها هذا المجتمع، جراء ارتكاب الفواحش والموبقات، وشيوع حياة الفسق والمجون في الأوساط الرسمية وغير الرسمية، فساد الانحلال الأخلاقي خلال تلك الحقبة من تاريخ الأندلس، حيث أدى تواجد العبيد والإماء السود بهذه الكثرة داخل المجتمع إلي انتشار شتى صور الفساد والفجور والمجون، وتفاقم ظواهر التسري بالإماء، وعشق الغلمان، وتفشي ظاهرة البغاء الذي أصبح مهنة رسمية، كل هذه الجرائم كانت تخفي وراءها انحلالا خلقيًا وأمراضًا اجتماعية خبيثة، وصل صداها إلي الأقطار الأخرى، حتى أن شيخًا مصريًا قد عاب على شيخٍ أندلسيٍ أن أهل الأندلس يشربون الخمر ويحبون الشباب، وأن ذلك فاشٍ بينهما[٣٥٣].

وقد لاقت تلك الممارسات التي تثير الاشمئزاز والنفور شيوعًا خلال فترات الفتن والاضطرابات، وهي الفترات التي تنشغل فيها أجهزة السلطة عن رصد حركة المجتمع وممارسات أفراده، نذكر من ذلك على سبيل المثال الفتنة البربرية التي عانت فيها المنظومة الأخلاقية للمجتمع الأندلسي انهيارًا كبيرًا، حتى أصبح "شرب الخمر ظاهرًا والزنا مباح واللواط غير مستور ولا ترى إلا مجاهرًا بمعصية"(٣٥٤).

وكان حصيلة ذلك هو انحلال الأسرة التي هي عماد المجتمع، وعزوف الشباب عن الزواج بعد أن أعماهم عنه الانغماس في البغاء والتسري بالإماء السود، وهو ما تحيلنا إليه كتب الفقه، حيث ترتب على اجتماع الإماء السود بالفسقة من الأحرار والعبيد في الأفران والسقايات وجود "آثاره في كثير من الدور بولادة الخدم فيهن أبناء الزنا"(٣٥٥).

لذلك أوجب الفقهاء "على من ولاه الله شيئًا من أمر هذه الأمة تفريق مجتمعهن وتشريدهن عن محال التهم بإنالة الأدب إن لم ينفع فيهن التقريع باللسان والزجر"(٣٥٦)، ويحيلنا هذا النص على نظرة الفقهاء إلي العبيد السود من الإماء اللاتي نعتهن بالفسق، كما بين لنا أيضًا أن تفشي ظاهرة الممارسة الجنسية بين بعض أفراد المجتمع الذين ينعتون بالأحرار والإماء السود كانت واقعًا ملموسًا.

الخاتمــة

أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج المهمة، والتي يمكن إيجازها في الآتي:

- كان للبيئة الجغرافية والطبيعية الصعبة التي نشأ بها العبيد السودان في موطنهم الأصلي ببلاد السودان أثر في اتباعهم للعنف كسلوك حياتي، حيث حلت بينهم ثقافة العنف والاقتتال محل ثقافة السلم والحوار، ومن ثم كرّست هذه البيئة القبلية لمجموعة من القيم العنيفة لدي العبيد السودان، وقد انعكست على أفعالهم وممارساتهم ببلاد الأندلس.
- كان لضعف السلطة الحاكمة في الأندلس خلال فترة الدراسة من اضطراب سياسي ونزاع داخلي بين أطراف متعددة، وتصاعد حدة الضغط الأسباني في الشمال، أثر في زيادة معدل الجرائم التي ارتكبها العبيد السودان، حيث أصبحت البلاد مرتعًا خصبًا لأعمالهم الإجرامية.
- شكلت المعطيات الجسدية للعبيد السودان والمتمثلة في القوة والشجاعة والخشونة عاملاً مهمًا في توظيف العبيد السودان في تنفيذ كثير من مهام الاغتيالات السياسية من طرف السلطة.
- تعددت الظواهر الإجرامية التي اقترفها العبيد السودان في الأندلس خلال فترة الدراسة، ويأتي في مقدمتها الجرائم السياسية، التي ارتكبتها السلطة بواسطة أذرعها من العبيد السودان، من القتل والاغتيال والتشهير بالخصوم والمناوئين، وكانت دوافعها سياسية بحتة.
- شاع في المجتمع الأندلسي جرائم أخرى، مست أموال وممتلكات الأفراد والجماعات، قام بها العبيد السودان كسبيل لتحسين أحوالهم المعيشية، فاتخذوا من أعمال السلب والنهب واللصوصية وقطع الطريق منهاجًا وسبيلاً، شجعهم على ذلك انتشار الفتن والاضطرابات وانعدام الأمن والاستقرار؛ بسبب تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية.
- برزت بين العبيد السودان جرائم أخرى أخلاقية، ساعد على تفشيها وانتشارها تدني المستوى الأخلاقي للمجتمع الأندلسي، الذي شاع بين جنباته العديد من المفاسد كالزنا والاغتصاب والشذوذ، ولم تكن هذه الجرائم الأخلاقية بمنأى عن ممارسات السودانيين الشائنة.
- أظهرت الدراسة تعدد الأساليب المتبعة لدي العبيد السودان في تنفيذ وارتكاب الجرائم المختلفة.

- بينت الدراسة أن الجرائم التى اقترفها العبيد السودان قد ألقت بظلالها السيئة على مناحي الحياة الأندلسية كافة، بسبب ما تلقيه من تبعات سيئة على السلم الأسري، وما ينتج عنها من أضرار تؤثر على الأفراد والأسرة والمجتمع بأكمله.
- ورغم كل هذا فلم تكن الجرائم حكرًا على العبيد السود وحدهم، فقد شاركهم أيضًا – بدرجات محدودة – نفر من الطبقات الحاكمة والمحكومة.

الهوامش:

(١) جرى أطلاق لفظ العبد أو العبيد فى النصوص المبكرة على الرقيق سواء الأبيض أو الأسود، ثم أصبحت بعد ذلك تعنى" العبد الأسود". أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١١؛ Bernard Lewis: The African Diaspora and The Civilization of Islam, Harvard University Press, London, 1976, P.37.

(٢) من أهم الدراسات التي تناولت الدور الإيجابي للرقيق بشقيه الأبيض والأسود سواء في المغرب والأندلس: بحث للعلامة المغربي الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش تحت عنوان: "مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، ضمن كتابه الإسلام السري في المغرب. وكذلك كتاب الدكتور عبد الإله بنمليح "الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م، ط١، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، وهو في الأصل أطروحة نال بها صاحبها درجة الدكتوراه.

(٣) كانت الجواري السوداوات يشكلن جانبًا من الحريم الأندلسي كزوجات شرعيات للأمراء، ومثال ذلك أن الأمير الأموي حبيب بن الوليد المرواني لم يجد حرجًا في أن يتزوج من جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون، كانت تلميذة الإمام مالك وتأدبت على يديه، وتروي عنه وعن غيره من علماء المدينة. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، مج٣، ص١٣٩-١٤٠. كذلك عُرف عن الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر (بويع سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م)، ولعه وإعجابه بامرأة حبشية. ابن سعيد: المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص٥٥.

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥٩؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٤٢.

(٥) للمزيد انظر الخشني: قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ص١١٧؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، (د.ت)، ج٥، ص١١٠؛ السقطي: في آداب الحسبة، نشر جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الدولية، الرباط، ط. باريس، ١٩٣١م، ص٤٨؛ عز الدين أحمد موسي: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١١٩.

(٦) عُرف العبد المشتغل بالتجارة في كتب الوثائق بـ "العبد التاجر". المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٠٠؛ عز الدين أحمد موسي: النشاط الاقتصادي، ص١١٩.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٧١؛ قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص٢٠٧.

(٨) إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٣٠-٢٣١.

(٩) للمزيد حول تفضيل العبيد السود في الخدمة المنزلية انظر الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق على عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م، ص١٨؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص٤٩٥؛ الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، مستخرجه من كتابه ري الأوام ومرعي السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، ١٩٧١م، ج١، ص٢١٨-٢١٩.

(١٠) ارتفع شأن هؤلاء العبيد السودان في العصور اللاحقة لاسيما في العصر الموحدي، ومثال ذلك أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي قد استخدم أثناء حملته على بجاية سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، غلام أسود كان رسولاً من طرفه إليهم. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٢٤، ص١٧٦.

(١١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تقديم عبادة كحيلة، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج١، ص١٥٤.

(١٢) يتضح هذا التصور جليًا حينما تطالعنا الشواهد على أن عبيد مملكة غرناطة في عهد بني زيري قد أعلنوا تمردهم وثورتهم على أميرها عبد الله بن بلكين، ومالوا ناحية المرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين، راجين "أن يكونوا عنده في أعلى مرتبة". ابن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٥١.

(١٣) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٩٠.

(١٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٩٧.

(١٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص١٩٠؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، ص٣٨؛ المراكشي: المعجب، ص١١٥.

(١٦) كان أرباب السلطة في الأندلس يفضلون العبد الأسود على الأبيض، لصبره وقوة تحمله وطاعته وإخلاصه، ومن الأمثال التى أشارت لذلك: "طل ما تجد أسود، لا تسخر أبيض". الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢١٩.

(١٧) ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسية للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٥٦.

(١٨) نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م.

(١٩) تولى المنصور بن أبي عامر الحجابة للخليفة الصبي هشام المؤيد بالله، فترقى أمره حتى بلغ ما بلغ من الجاه والسلطان، وصارت الدولة والعرش والقصر والخليفة الصبي وأم الخليفة، كل هؤلاء طوع يمينه، اتخذ لنفسه لقب الملك، وأصدر أوامره بأن يخاطب بالملك المنصور، فقام "بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها إنافة، وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأخشن دياسة؛ فانتظمت له الممالك". المراكشي: المعجب، ص٣٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م، ص٢٦٥. كانت حياته نشاطًا متواصلاً دام خمسًا وعشرين سنة وأربعة وأربعين يومًا، قضاها كلها في جهاد النصارى المتاخمين لحدوده، ورغم اشتداد المرض عليه، إلا أنه

استمر في قيادة جنده طيلة أربعة عشر يومًا، حتى فاضت روحه بمدينة سالم في٢٧ رمضان سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ق٤، مج١، ١٩٧٩م، ص٧٣- ٧٤؛ المراكشي: المعجب، ص٣٨-٣٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٠٠، ٤٠٢؛ على أدهم: منصور الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٩٦؛

Pierre Guichard: L'espagne et la Sicile Musulmanes aux XIe et XIIe Siecles,1990, P.17.

(٢٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ص٥٨.

(٢١) هو عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر، ولي الحجابة سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، ولقب بالمظفر وسيف الدولة، جرى على سنن أبيه في السياسة والغزو، وقد دامت أيامه حوالي سبع سنين، حيث توفي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م. ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٧٨ وما بعدها؛ ابن سعيد: المُغرب، ج٢، ص٣٠٠؛ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٨٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٣، تحقيق ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣١-٣٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٨٣-٨٩.

(٢٢) هو عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المعروف بـ "شنجول"، تولى الحجابة بعد وفاة أخوه عبد الملك، كان ضعيف الشخصية، ميالاً إلي الدعة والاسترخاء وشرب الخمر واللواط، قليل الاهتمام بالسياسة، وبدأت هذه الصفات تتكشف بعد شهر ونصف على تولية الحكم، حيث طلب من الخليفة هشام المؤيد أن يوليه عهده، وأن يتسمى بولي عهد المسلمين، فأجابه إلي ذلك سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، فانبعثت العصبية القديمة ضده، وعز على المضريين أن ينتقل العرش إلي اليمنيين، وأن تخرج الخلافة من أيدي القرشيين، وانتهى الأمر بمقتل عبد الرحمن العامري في رجب سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وبمقتله تنتهي دولة بني عامر. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٣٨- ٣٩، ٤٤، ٤٩-٥٠؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٩٠-٩٣؛ ؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٤، ٤٢٦.

(٢٣) أجمع المؤرخون الأندلسيون على نعت هذه المرحلة بـ "الفتنة البربرية"، حيث وجهوا تهمة انفلات الأوضاع إلي الجند البربري، وخاصة زاوي بن زيري، باعتباره "موقد الفتنة". ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج٢، ص٥٧٦، ٥٨٨؛ النباهي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر إ. ليفي بروفنسال، ط١، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٨٨.

(٢٤) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، (د.ت)، ج١٢، مادة "جرم"، ص٦٠٤، ٦٠٥؛ الرازى: مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٣؛ الفيومى: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٩٧.

(٢٥) سورة الزخرف، الآية ٧٤.

(٢٦) سورة طه، الآية ٧٤.

(٢٧) سورة القمر، الآية ٤٧.

(٢٨) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٩-٢٠.

(٢٩) الماوردي: الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٢٢.

(٣٠) عبد القادر عودة: التشريع الجنائي في الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٦٦؛ عبد الرحيم بن سلامة: الجريمة والعقوبة في ضوء الشريعة والقانون، مجلة الإحياء، ع٢٣، ٢٠٠٤م، ص٢٢٤؛ جمال أحمد زيد الكيلاني: مقاصد العقوبة في الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة النجاح الوطنية، مج٢٨، ع١، ٢٠١٤م، ص٩٤.

(٣١) جمال زيد الكيلاني: مقاصد العقوبة، ص٩٥.

(٣٢) محمد أبو حسان: أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، ط١، مكتبة المنار، الإردن، ١٩٨٧م، ص١٦٣.

(٣٣) محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة، ص٢٠.

(٣٤) يُقصد بالزنوج سكان شرق أفريقيا، الذين تُعرف بلادهم ببلاد الزنج، تقع في شمالها بلاد اليمن، وفي جنوبها الفيافي، وشرقها النوبة، وغربها الحبشة، وهي بلاد شديدة الحرارة. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج١، ص٤٩؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، تعليق وتقديم حماة الله ولد السالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م، ص٢٣-٢٤؛ Lewicki, T.: Etudes Ibadites nord africaines, partie I, tasmiya suyuh gabal Nafusa wa-qurahum, Warszawa, 1955, p. 93-96.

(٣٥) أطلق الجغرافيون المسلمون مسمى الأحباش على سكان المنطقة المحصورة بين بلاد الزنج شرقًا وبلاد البجة غربًا. مجهول: حدود العالم من المشرق إلي المغرب، تحقيق يوسف الهادي، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٦؛ الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ط١، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٦٠. وقد عُد هؤلاء الأحباش أحد أفضل أصناف رقيق بلاد السودان؛ ولذلك أقبل المغاربة والأندلسيون على اقتنائهم بشغف كبير، باعتبارهن "أفضل أجناس السودان، وخصيان الملوك". ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص٩٧. وقد وظف التجار أموالهم في جلب هذا النوع من الرقيق عبر قوافلهم لما لمسوه من خصال رغَّبت فيهم التجار، فأقدموا على جلبهم. مجهول: حدود العالم، ص١٤٨؛ الاصطخري: المسالك والممالك، ص٤٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٥٩؛ البكري: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٣٢٧؛ ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق حسين يوسف خريوش، ط١، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٩م، ج١، ص٢٦٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٤، ٥٣؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص٩٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٦٠.

(٣٦) يُعد المؤرخون والجغرافيون العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تقطن جنوبي الصحراء الكبرى، ويقصدون بها أصحاب البشرة السوداء؛ ليبينوا الحد الفاصل بين المناطق التي يسكنها السود والمناطق التي يسكنها البيض، إلا أن هذه الكلمة تكاد تنصرف إلى سكان الجزء الغربي منه؛ لأن العرب نعتوا أصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء بأوصاف أخرى، كما يتضح من الرسالة التي كتبها الجاحظ وسماها "كتاب فخر السودان على البيضان" أنهم يقصرون لفظ السودان على ذلك الجزء الواقع في غرب إفريقيا. الجاحظ: كتاب فخر السودان على البيضان، رسائل الجاحظ، القاهرة، ١٩٠٦م، ص٦٤.

(٣٧) ابن خلدون: كتاب العبر، ج١، ص٧١.

(٣٨) ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص٢٨-٢٩.

(٣٩) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٧١.

(40) Couq, J.: Histoire de l'Islamisation de L'Afrique de l'Ouest des Origines a La Fin du XVL Siècle Librairie Orientaliste paul Genthner, Paris, 1989, pp. 232-233.

(٤١) مجهول: حدود العالم، ص١٤٨.

(٤٢) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٧٠.

(٤٣) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٤٢؛ الزجالي: أمثال أمثال العوام، ج١، ص٢١٩؛ شوكت عارف: دولة الكانم الإسلامية، ط١، دار دجلة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص١١٧-١١٨.

(٤٤) رسائل الجاحظ، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٩٥-١٩٦.

(٤٥) شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٤٦) آداب الحسبة، ص٥٠.

(٤٧) أطلق الجغرافيون العرب اسم الصقالبة على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار. ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الهامشية، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص١٤٤-١٤٥. وقد عُرف هؤلاء الصقالبة ببياض بشرتهم. الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٣، ص٤١٦. وقد تنوعت مسمياتهم في المصادر التاريخية ما بين : مجابيب الصقلب (ابن بسام: الذخيرة، ق٣، مج١، ص١٤). والعلوج أو الأعلاج (ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٦٢). وسبب مجيئهم إلي الأندلس أن الفرنجة المتصلين بأرضهم كانوا يحاربونهم "فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأندلس". المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٥. وقد لعب التجار اليهود دورًا مهمًا في جلب هؤلاء الصقالبة إلي الأندلس من خلال تكوينهم لشبكة تجارية تجولوا من

خلالها شرقاً وغرباً، يجلبون سبى الفرنجة وجليقية والصقالبة، ثم يعمدون بعد ذلك رغبة منهم في تحقيق مكاسب باهظة إلى إخصائهم بمدينة بجانة، وخاصة الخدم الصقالبة، بعد أن ابتدعوا ظاهرة الخصاء، ومنهم أخذها المسلمون، فكانوا يخصون الصقالبة والجليقيين وغيرهم، ثم يحملون هؤلاء الخصيان إلى سائر البلدان الأوروبية والإسلامية. ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٤٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٥.

(٤٨) وتشمل المنطقة الممتدة بين المحيط الأطلسي غرباً، وبحيرة تشاد شرقاً، والغابات الاستوائية شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، وتقع هذه المنطقة بين خط عرض ١١، ١٧ درجة، وهذه المنطقة تعاقبت فيها أعظم ممالك غرب أفريقيا: غانة، مالي، صنغى. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، سنة١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٥٩.

(٤٩) للمزيد حول الوجود الحبشي في الأندلس انظر ابن الزقاق: ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م، ص١٩٥؛ ابن الزيات التادلي: التشوف إلي رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص٣٢٨؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٦؛ الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨١م، ج٩، ص٢٣٨.

(٥٠) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣١؛ عز الدين أحمد موسي: النشاط الاقتصادي، ص١١٨.

(٥١) كان للتجار المسلمين من العرب والمغاربة دور فعال في رواج تجارة الرقيق الأسود عبر قوافلهم من خلال التجارة مع بلاد السودان. للمزيد انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص٩٨؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص١٠-١١، ١٥٩؛ الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١١٨؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧؛ الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢١٨؛ حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصري المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٨٣؛ Willis R.J: "The Ideology of enslavement in Islam" in Slaves and Slavery in Muslim Africa, P. 9, 16-19 ; Botte, R:Traite et esclavage, du passé au present, Esprit, No. 317 , 2005, p.188 ; Harry A.Galley: History of Africa from Earliest Times to 1800, London, 1989, p.59,64 ; Alexander,J: Islam, Archeaology and Slavery in Africa,World Archaeology, Vol.33, p.49.

(٥٢) عُرف التجار اليهود فى المصادر العربية بمسميات عديدة أبرزها اليهود الراذانية، والراهدانية، والرهادرة، وقد اشتهروا بدور الوساطة التجارية بين الشرق والغرب، ولعبوا دورًا كبيرًا فى تجارة الرقيق، الذى يمثل لهم أهم بضاعة لنشاطهم التجارى، وكانوا عاملاً فعالاً فى رواجه، فأوجدوا لهم شبكة فى الأندلس والمغرب وبلاد السودان، ساعدهم على ذلك إجادتهم لعدة لغات منها: العربية والفارسية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية. ابن خرداذابة: المسالك والممالك، طبع في مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٨٨٩م، ص١٥٣؛ ابن الفقيه:

مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ، ص٢٧٠؛ عياض: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضى عياض، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٨م، ص٣٥٩؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٥م، ص٣٤؛ الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢١٨، الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٦٧؛ عايدة العزب موسى: تجارة العبيد فى أفريقيا، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٦؛

Abitbol, M.: Juifs maghrébins et commerce transsaharien (VIIIe- XVe siècles). In Le sol, la parole et l'écrit: Mélanges en hommage à Raymond Mauny,paris, 1981, T.II, P.179.

(٥٣) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢١٨؛ الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٤٩٧-٤٩٨؛

Idrissa BA : La problématique de la présence juive au Sahara et au Soudan d'après Jean Léon l'Africain, Outre-Mers,To.94, No. 350-351, 2006,P.250, P.254 ; Brett, M: Ifriqiya as Market from Saharan Trade from the 10th to the 12th Century, Journal of African History, Vo1.X, 3, 1969, P.355

(٥٤) ابن خلدون: العبر، ج١، ص١٢٥.

(٥٥) سبتة: من أهم الموانئ التجارية المغربية المطلة على البحر المتوسط، فكان مقصدًا للتجار والمسافرين من شتي البلدان والأقطار، ارتبط بغيره من الموانئ المطلة على البحر المتوسط، لاسيما مدن جنوب أوروبا. ابن جبير: رحلة ابن جبير "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٨ ؛ أبو طالب الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م، ص٢٣٥.

(٥٦) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٢٥.

(٥٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص١٩٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢م، ص٨١؛ إبراهيم عبد المنعم سلامه أبو العلا: العامة في الأندلس في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص٦٠.

(٥٨) طنجة: تقع هذه المدينة على بحر الزقاق الفاصل بين بلاد المغرب والأندلس، ويضيق البحر في تلك المنطقة ليصل الحد الفاصل بين بر العدوتين إلي اثنى عشر ميلاً، وكان لهذه المدينة شهرة تجارية كبيرة، إذ كان ميناؤها محط إقلاع للسفن. الإدريسي: كتاب صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، ١٨٨٣م، ص١٦٦؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج٤، ص١٠٥.

(٥٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ق٣، ص٣٠.

(٦٠) ابن الخطيب: المصدر السابق، ق٣، ص١٥٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٢٣.

(٦١) ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٣٩٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٦٠.

(٦٢) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص٢٧٥؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٨٣.

(٦٣) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٤٢٠.

(٦٤) المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤.

(٦٥) مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م، ص٦٠؛ ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٤٩، ق٤، مج١، ص٣١٠؛ ابن الحاج التيجيبي: نوازل ابن الحاج، ج٢، تحقيق أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطبعة تطوان، ٢٠١٨م، ص٣٢٩.

(٦٦) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج٢، ص٦.

(٦٧) يرجح أن هذا المثل من أمثال أهل قرطبة، حيث كان الزنوج يشكلون الحرس الخاص بأمراء بني أمية وبني عامر. الزجالي: نفس المصدر السابق، ج٢، ص٦؛ ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلي سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية، ترجمة إلي الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمة إلي العربية على عبد الرؤوف البمبي وآخرون، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، مج٢، ج١، ص١٨٨. كان النفخ في البوق من عادة أعلاج العبيد في الأندلس. ابن سعيد: المُغرب، ج٢، ص٤٠٨.

(٦٨) أشار المصدر إلي وجود مجموعة من الآلات الموسيقية في الأندلس، وأن وجودها بهذا القطر يفوق أي بلد آخر، منها البوق والعود والقانون والدف وأبو قرون ودبدبة السودان. المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢١٣.

(٦٩) مجهول: فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٤م، عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق، ص١١١.

(٧٠) محمد بن على بن الشباط المصري التوزري: وصف الأندلس: قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط في شرح سمط الهدي في الفخر المحمدي، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، إسبانيا، ١٩٦٨م، مج١٤، ص١١٦؛ عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق، ص١١١.

(٧١) ابن الشباط: المصدر السابق.

(٧٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٦٢. يري المقري أن الذي تولى فتح قرطبة هو مغيث الرومي مولى طارق بن زياد. المصدر السابق والصفحة.

(٧٣) مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص٩٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، بيروت، ١٩٦١م، ص١٩٥؛ صلاح أحمد عيد خليفة: أجناد الحشم في الأندلس من الأمويين إلى الموحدين (١٣٨-٦٠٩هـ/٧٥٦-١٢١٢م)، د.ت، ص٩٥٥.

(٧٤) إشبيلية: من أعظم مدن الأندلس وأكبرها، تعني الأرض المنبسطة، مدينة الأدب واللهو والطرب، وهي أول عاصمة اتخذها المسلمون في الأندلس قبل قرطبة، تقع على نهر الوادي الكبير، إلي الجنوب الغربي من مدينة قرطبة. الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي: الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد،

١٩٩٠م، ص١٠٢؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤١؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٩٥؛ ؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨؛ مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م، ج١، ص٦٠-٦٣.

(٧٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٧.

(٧٦) إبراهيم عبد المنعم سلامة: العامة في الأندلس، ص٦٠.

(٧٧) نفح الطيب، ج٣، ص٣٦-٣٧.

(٧٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٩؛ صلاح أحمد عيد خليفة: أجناد الحشم في الأندلس، ص٩٥٥-٩٥٦.

(٧٩) صلاح أحمد عيد خليفة: أجناد الحشم في الأندلس، ص٩٥٦-٩٥٧.

(٨٠) ابن حيان: السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣م، ص١٥٥.

(٨١) المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولدون، ج١، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٦٥؛ صلاح أحمد عيد خليفة: المرجع السابق، ص٩٥٧.

(٨٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص١٩٠.

(٨٣) نفسه.

(٨٤) رسائل ابن حزم، رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٧٦. وانظر: ابن حيان: المقتبس، قطعة خاصة تشتمل على عهد الناصر لدين الله، تحقيق بدرو شالميتا وفردريكو كورينطي ومحمود صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ص٩٠.

(٨٥) وبناء على ما تقدم يتضح لنا أن هنري بيريس لم يحالفه الصواب حينما ذكر أن العبيد السودان قد جيئ بهم على نحو خاص ابتداء من عهد عبد الرحمن الناصر ليكونوا حرسه الخاص. هنري بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٣٧.

(٨٦) االمقري: نفح الطيب، ج٣، ص١١.

(٨٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩١-١٩٢؛ صلاح أحمد عيد خليفة: أجناد الحشم، ص٩٥٨.

(٨٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٠.

(٨٩) المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٥.

(٩٠) الرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة، وقد اعتمد نظام البريد في الأندلس على السعاة والرقاصة من المغاربة والسودان. المقري: نفح الطيب، ج٢، ص١٤٦.

(٩١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص١٠٢.

(٩٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٧٤.

(٩٣) نفسه، ص٥٢؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة: العامة في الأندلس، ص٦١.

(٩٤) نفسه، ق١، مج١، ص٧٩٦.

(٩٥) ابن خاقان: قلائد العقيان، ج١، ص١٣٥.

(٩٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٨٤.

(٩٧) مالقة: مدينة أندلسية من أعمال كورة رية على شاطئ البحر من الجزيرة الخضراء والمرية، تشتهر بكونها ميناءً يتردد عليه التجار والسفن كثيرا، سقطت في أيدي النصارى الأسبان سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٤٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥١٧؛ محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٤٢-٢٥٢.

(٩٨) الضبي: بغية الملتمس، ص٤٠.

(٩٩) قرْمُونَة: مدينة بالأندلس، تقع في الشرق من إشبيلية. الحميري: الروض المعطار، ص٤٦١.

(١٠٠) بني برزال: بطن من بطون زناتة، جازوا إلي الأندلس خلال عهد الخليفة الحكم المستنصر، الذي اعتمد عليهم لما لمسه فيهم من بأس وقوة، فأكرمهم وقدمهم على العناصر الأخرى. ابن حيان القرطبي: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، ص١٩٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٨؛ مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٥م، ص١٣٥. ومع مرور الوقت استغلوا حالة الفوضى التي عمت أرجاء الأندلس، وتمكنوا من إقامة إمارة لهم في قرمونة سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م على أيدي الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي، ضمت إليها مدن استجة وأشونة والمدور. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٣١١-٣١٢.

(١٠١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٨٩؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١٣٧.

(١٠٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١٣٧.

(١٠٣) منهم مؤمل مولى باديس بن حبوس. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ، ١٩٧٥م، ج٣، ص٣٣١-٣٣٢.

(١٠٤) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٨٢.

(١٠٥) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، مج١، ص٥٠.

(١٠٦) ابن بسام: المصدر السابق؛ ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٢٧٤.

(١٠٧) من أكابر فتيان المنصور بن أبي عامر، تولى أمر مملكة المرية بعد هلاك خيران الصقلبي، واستمر بها لمدة عشر سنوات، وقد امتدت مملكته من المرية إلي شاطبة. ابن عذاري: البيان، ج٣، ص١٦٩.

(١٠٨) المرية: من أجل مدن الأندلس وأعظمها قدرًا، تقع على ساحل البحر المتوسط، فهي بذلك مرسى الأندلس الأول، بها المتاجر والصناعات الكثيرة، صارت على عهد ملوك الطوائف قاعدة لمملكة مستقلة أسسها الصقالبة، سقطت في أيدي النصاري سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م. الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٧؛ الرشاطي: اقتباس الأنوار، ص٥٩-٦٠؛ محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها (٣٤٤-٤٨٤هـ/٩٥٥-١٠٩١م)، تصدير السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ١٩٨١م، ص٢٧-٢٨.

(١٠٩) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج٢، ص٦٥٩؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص١٩٥.

(١١٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٧١.

(١١١) العذري: نصوص عن تاريخ الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلي جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥م، ص٨٣.

(١١٢) ثلاث رسائل أندلسية، ص٩.

(١١٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، تحقيق إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م ص٢٣.

(١١٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٧، ص١١٨.

(١١٥) الغرناطي: تحفة الألباب، ص١٨.

(١١٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١١٨. انظر أيضًا ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص٢٤٣-٢٤٤؛ مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص٦١.

(١١٧) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود على مكي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص١٥٢.

(١١٨) استطاع الصقالبة أن يحتلوا مكانة عالية في ميادين السياسة والإدارة والجيش في الأندلس، فكان منهم صاحب الجيش الأعلي وصاحب الشرطة وصاحب الخيل، وكان منهم خلان وندماء للخلفاء. للمزيد انظر ابن حيان المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص٩٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٨؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٦٠-٦١.

(١١٩) للمزيد حول الإمارات التي نجح العبيد الصقالبة في إقامتها في بعض المدن الأندلسية انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٧٧، ٨٣، ١١٥، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩؛ مجهول: فتح الأندلس، ص١١٩.

(١٢٠) ابن خلدون: العبر، ج٤، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٩٥.

(١٢١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٤٩-٥٠؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٦؛ على حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٩٨.

(١٢٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٧٠؛ كمال السيد أبو مصطفي: تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي (٩٥-٤٩٥هـ/٧١٤-١١٠٢م)، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ت)، ص٨٣.

(١٢٣) الطوسي: سير الملوك أو سياست نامة، ترجمة عن الفارسية يوسف بكار، ط١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص١٧٧.

(١٢٤) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٣؛ شيماء فرغلي: الجريمة والعقاب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلي سقوط الخلافة الأموية، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٠م، ص١٠٨.

(١٢٥) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول من الفتح إلي بداية عهد الناصر، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص١٩٤.

(١٢٦) ابن خلدون: العبر، ج١، ص١٣٩.

(١٢٧) نفسه، ص١٥٧.

(١٢٨) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٩، أنظر أيضا ص١٩٥، ١٩٦؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٦٥-٦٦.

(١٢٩) ومثال ذلك المعتضد العبادي صاحب إشبيلية، الذي وصف بأنه "قطب رحى الفتنة .. رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد، ولا سلم منه قريب ولا بعيد .. متهور تتحاماه الدهاة، وجبار لا تأمنه الكماة .. حربه سم لا يبطئ، وسهم لا يخطئ، وسلمه شر غير مأمون". ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص٢٤، ٢٥؛ انظر أيضًا ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٤٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٣. كما عُرف عنه "في باب فرط القسوة وتجاوز الحدود، والإبلاغ في المثلة، والأخذ بالظنة .. حكايات شنيعة .. ومهما برئ من مغبتها، فلم يبرأ من فظاعة السطوة، وشدة القسوة، وسوء الاتهام على الطاعة". ابن بسام: المصدر السابق، ق١، مج١، ص٢٥. كما وصفه ابن الخطيب بأنه رجل "شديد الجرأة .. عظيم الجلادة، مستهينًا بالدماء". انظر أعمال الأعلام، ص١٥٦. فقد اعتبر كل من جاوره من ملوك الطوائف أعداء له، وبالتالي لم يتهاون في تجريد حملات السلب والنهب ضدهم، حيث اتخذ الصراع في إطار الوضعية الجديدة شكل حرب عصابات المدن، فابن عباد هذا هو الذي "جرد خيلاً فضربت على بلاد ابن الأفطس فغارت وأنجدت، وفعلت فعلات نكأت القلوب وقربت الندوب". ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢١٠؛ انظر أيضًا أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨م، ص٢٣١.

(١٣٠) ابن عذاري: المصدر السابق، ج٣، ص٢١١.

(١٣١) ابن القطان: نظم الجمان، ص١٣٢، ٢٢٣.

(١٣٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢١١.

(١٣٣) نفسه، ص٢٣٣. انظر أيضًا ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص١٤٨-١٤٩.

(١٣٤) عبد الله بن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله، ص٩١.

(١٣٥) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، مج١، ص٢٦٩.

(١٣٦) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٣٥. وانظر نفسه، ج٣، ص٢٥٢.

(١٣٧) وقد عبر ابن عذاري عن ذلك نقلا عن ابن حيان بقوله: "الأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادًا عن الجماعة وجريًا إلي الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صروف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم، قد اصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم". ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٤. انظر أيضًا ابن بسام: الذخيرة، ق٣، مج١، ص١٨٠.

(١٣٨) يقول عنهم ابن حزم "ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرين لهم على فسقهم". انظر رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٣، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٧٣.

(١٣٩) احتل عدد كبير من الصقالبة مكانة عالية في مجال الأدب والشعر، فصار منهم الأدباء والشعراء، حيث يقول ابن بسام في ذخيرته "وكان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المجابيب ممن أخذ من الأدب بأوفر نصيب". ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٣٤.

(١٤٠) هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطي، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٨٠م، ص١١١.

(١٤١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٦٠.

(١٤٢) مثلما رأى عبد المؤمن بن علي في ثورة ابن غانية على السلطة الموحدية أنها استقطاب لـ "ذعار اللصوص وإباق العبيد وأخابث أهل الحرابة والشرور، جاؤوه من كل أوب .. فاتخذهم جنده وصيرهم بطانته". مجموعة مؤلفين: رسائل موحدية، نشر إ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١م، ص١٠٩-١١٠.

(١٤٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٧٦.

(١٤٤) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٠٢.

(١٤٥) إبراهيم عبد المنعم سلامة: العامة في الأندلس، ص٤٩٢.

(١٤٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص١٩٠.

(١٤٧) نفسه، ص٧٨.

(١٤٨) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٨٤.

(١٤٩) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص٤٨١.

(١٥٠) نفسه.

(١٥١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٨٦.

(١٥٢) نفسه، ص٤٨٦-٤٨٧.

(١٥٣) الضبي: بغية الملتمس، ص٣٨؛ المراكشي: المعجب، ص١١٥.

(١٥٤) عُرف عنه أنه "لا يصحب ولا يُؤثر إلا كل ساقط رذل، ولا يحجب حرمة عنهم". المراكشي: المعجب، ص١١٧.

(١٥٥) الضبي: بغية الملتمس، ص٤٠-٤١.

(١٥٦) المراكشي: المعجب، ص١١٨.

(١٥٧) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٧٤م، ج١، ص١٥٤.

(١٥٨) ابن قزمان: هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان، إمام الزجالين في الأندلس، أديب بارع، كان في بداية أمره ينظم الشعر المُعرب، وعندما رأى تخلفه عن معاصريه كابن خفاجة وغيره، عمد إلي طريقه جديدة لا يمازجه فيها أحد، حتى صار إمام الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس، توفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٠٠-١٠١.

(١٥٩) قَنَوَ: ويقصد به جناوة، وهو لفظ يستخدم للدلالة على قبيلة أو شعب من شعوب إفريقيا الغربية السوداء، في المنطقة التي كانت تعرف عند المؤرخين العرب باسم غانة، ولعل يقصد بها ما يدعى اليوم بـ "غينيا". الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٢٥؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص١٥٨.

(١٦٠) جانان عز الدين شبانة: الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، ٢٠٠٥م، ص١٤-١٥.

(١٦١) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢١.

(١٦٢) نفسه.

(١٦٣) نفسه.

(١٦٤) الإباق: هو هروب الرقيق من يد مالكه تمردًا.(محمد رواس قلعه جى: موسوعة فقه عبد الله بن عباس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، د.ت، ج١، ص٥٤)، أو هو المملوك الذى يفر من مالكه قصدًا. (الجرجانى: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت، ص٩)، أو ذهب بلا خوف ولا كد عمل أو استخفى ثم ذهب.(الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي بمؤسسة الرسالة، ط٦، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٩٨م، ص٨٦٤)، وشرعًا مملوك فر من مالكه تمردًا أو عنادًا لسوء خلقه. (بطرس البستانى: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٢).

(١٦٥) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢١.

(١٦٦) نتوفر في هذا الصدد على نازلة تخص شراء أمه سوداء بها كي نار في الأندلس. الونشريسي: المعيار، ج٦، ص٢٤٦.

(١٦٧) السقطى: في آداب الحسبة، ص٥٧؛ ابن سهل: ديوان الإحكام الكبرى، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٢٣

(١٦٨) ابن رشد: فتاوى، ج٣، ص١٥٦٢؛ الونشريسي: المعيار، ج٦، ص٦١.

(١٦٩) ابن أبى زيد القيرواني: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، كتبها أحمد مصطفي قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة القاهرة، (د.ت)، ص١٤٣؛ الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢١.

(١٧٠) الونشريسي: المعيار، ج٢، ص٢٦٨.

(١٧١) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص٢٨.

(١٧٢) نفسه.

(١٧٣) الونشريسي: المعيار، ج٩، ص٢٣٩.

(١٧٤) الوزاني: النوازل الجديدة الكبري فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، تصحيح عمر بن عباد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٩م، ج٥، ص٥٦٧؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٩.

(١٧٥) إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري، ص٢٤٠.

(١٧٦) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢٢.

(١٧٧) ابن حزم: المحلى، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ج١٠، ص٦٩.

(١٧٨) صورت أمثال العوام هذا الواقع المؤلم على لسان سيدة تنادى على أمتها قائلة: عفرا خذى بيد سيدك يخرا. الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢٢.

(١٧٩) ابن منظور: لسان العرب، مج٦، ص٤٣٧٦.

(١٨٠) المراكشي: وثائق المرابطين، ص٣٥٧.

(١٨١) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطي، ترجمة عزوز الطلحي، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٣م، ص٦٥٨.

(١٨٢) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٢٢؛ إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري، ص٢٤٣.

(١٨٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٠٣.

(١٨٤) ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٤٠٣-٤٠٤.

(١٨٥) الدرجيني: طبقات المشايخ، ج٢، ص٤١٤-٤١٥.

(١٨٦) ابن ناجي: معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، ج٤، ص١٣١.

(١٨٧) الشماخي: كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلي نهاية القرن الخامس للهجرة، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ١٩٩٥م، ص٢٤٢.

(١٨٨) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٧٠- ٧٥، ١١٦.

(١٨٩) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٦.

(١٩٠) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنوار محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،٢٠٠٨م، ص١٣٦؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٦٠.

(١٩١) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٢٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٩-٢٢؛
Basil, Davidson: Aguide to African History, Doubleday, New York, 1965, P. 21.

(١٩٢) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٤٩.

(١٩٣) نفسه، ق١، مج٢، ص٦٥٩.

(١٩٤) الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٢٥.

(١٩٥) ابن بسام: المصدر السابق، ق١، مج٢، ص٦٥٩.

(١٩٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٦٢.

(١٩٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٥؛ إبراهيم عبد المنعم سلامه: العامة في الأندلس، ص٤٩١.

(١٩٨) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٧٢-٧٣.

(١٩٩) مثلما رأى عبد المؤمن بن علي في ثورة ابن غانية على السلطة الموحدية أنها استقطابًا لـ "ذعار اللصوص وأباق العبيد وأخابث أهل الحرابة والشرور، جاؤوه من كل أوب .. فاتخذهم جنده وصيرهم بطانته". مجموعة مؤلفين: رسائل موحدية، نشر إ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١م، ص١٠٩-١١٠.

(٢٠٠) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٧٦.

(٢٠١) للمزيد حول صراعات الأسر الحاكمة انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله، ص٧٠؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦-٢٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٢٤، ١٢٥،١٣١-١٣٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١٦٤، ٢٠٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٣٣.

(٢٠٢) مفردها نكبة، وتعني كل من تعرض إلي نكبة أو محنة أو بلاء أو مأساة، وتشترك كل هذه المفردات في معنى إلحاق الجهد والمشقة والأذي والألم بالإنسان، سواء كان ذلك نفسيًا أو جسديًا أو الاثنين معًا، فيعيش المرء فترة من حياته قد تطول وقد تقصر في كرب وكمد. ابن منظور: لسان العرب، مادة نكب، ص٤٥٣٥؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٩٥٠.

(٢٠٣) نتوفر في هذا الصدد على إشارة تخص الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد، الذي عرف عنه عدم تورعه في إراقة الدماء واستباحتها، حيث كان يمتلك خادمًا أسود يعمل سيافًا في بلاطه، استخدمه هذا الأمير في قتل ستة عشر من بناته ولدن من إماء له، كانت أمه قد تولت إخفاء خبرهن عنه مدة طويلة، فكانت إذا ولدت له ابنة من إحدى جواريه أخفتها عنه وربتها لئلا يقتلها، حتى اجتمع عندها منهن ستة عشرة جارية، وعندما كشف الأمير الأغلبي أمرهن، قال لخادمه الأسود السياف: "امض فجئ برؤوسهن، فتوقف استعظامًا لذلك فقال: امض ويلك وإلا قدمتك قبلهن.. فقتلهن وأخذ رؤوسهن فجاء بها معلقة بشعورهن فوضعها بين يديه". ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص٢٩-٣٠؛ انظر أيضًا ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ١٣٢-١٣٣. أو كما حدث مع جعفر بن خيرون الكتامي أثناء تمرده وثورته على الخلافة الفاطمية، حيث قيل أنه مات بتدبير من الخلافة التي أوكلت إلي العبيد السودان مهمة قتله، فقفز عليه العبيد السودان وهو على سريره حتى مات. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق اكرم البوشي، إشراف شعيب الأرنؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج١٤، ص٢١٧.

(٢٠٤) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٩، ص١٩٨.

(٢٠٥) نفسه.

(٢٠٦) ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٦٧.

(٢٠٧) ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٩م، ج٢، ص٢٢٢.

(٢٠٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٣٥؛ وانظر نفسه، ج٣، ص٢٥٢.

(٢٠٩) هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي، ملك زناتة سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، فاستقام له أمر المغرب وعلا قدره وقوى سلطانه، فقام بالدعوة للخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر. الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج١، ص٩١.

(٢١٠) هشام المؤيد: هو هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن بن محمد، ولى الخلافة بعد أبيه وهو صبي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، فاستغل حاجبه المنصور بن أبي عامر ذلك، وانفرد بتدبير شئون الدولة دونه هو وأبناؤه من بعده. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ج١، ص٣٢؛ الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م، ص٣٧.

(٢١١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص١٥٨؛ مجهول: مفاخر البربر، ص١٢٢؛ سامية مصطفي مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (٣٠٠-٣٩٩هـ/٩١٢-١٠٠٨م)، ط١، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م، ص١١٠-١١١.

(٢١٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٠٦.

(٢١٣) نفسه.

(٢١٤) مجهول: مفاخر البربر، ص١٢٢.

(٢١٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص١٥٨-١٥٩؛ الناصري: الاستقصا، ج١، ص٩٣.

(٢١٦) بزغ نجم الجزيري على عهد المنصور بن أبي عامر أثناء محنة الحاجب المصحفي سنة ٣٧٢هـ، حيث قلده المنصور منصب رئيس الشرطة، ثم ارتقى في المناصب السياسية والديوانية حتى تقلد ديوان الإنشاء، وحينما بلغ الجزيري بحذقه ولباقته من المنصور مرتبة عالية، وتمكن من قلبه، استوزره المنصور، وغدا من ندمائه المقربين منه في حلّه وترحاله. ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص١٧٧؛ ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٦٨-٦٩؛ ابن بشكوال: الصلة، مج٢، ص٥٢٢؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٢٥٧؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٦؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٣٢٢.

إلا أن حال الجزيري قد تغير تمامًا عندما انقلب عليه المنصور بن أبي عامر وزج به في السجن؛ بسبب اغتراره بنفسه، وظنه أنه صار الرجل الأكثر أهمية في الحاشية العامرية، وإن المنصور لا يستطيع الاستغناء عنه، مما حدا به إلي السخرية والازدراء بغيره من الكتاب والشعراء العامريين، فكان يُزري بهم، ويحب الاشتمال على ابن أبي عامر، ويتصوّر فرط حاجته عليه في الإنشاء، حتى تمادى طلَفَه ولا أحد يلحقه، ورغم تلك المكانة الرفيعة التي حظي بها الجزيري عند المنصور إلا أنه عتب عليه، فصرفه عن الكتابة، وأقصاه عن حضرته على فرط حاجته إلي خدمته، وصادر أمواله وممتلكاته، وسجنه تارة في مُطْبَق الزاهرة، وتارة أخرى في سجن قلعة طرطوشة، ثم لم يلبث أن عفا عنه ورد إليه ماله. للمزيد انظر ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٤٧؛ ابن الأبار: إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٦١م، ص١٩٦؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٣٢١؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، نشر وتعليق ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٢٥؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٨٧ ؛ ج٤، ص٦٦؛ فاضل فتحي محمد والي: الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، ص١٠٨-١٠٩.

(٢١٧) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري، عاش في القرن ٤هـ/١٠م، وزير من وزراء الدولة العامرية، وأحد كتابها اللامعين، عالم أديب، وشاعر كثير الشعر، غزير المادة، ومعدود من أكابر البلغاء، له رسائل وأشعار كثيرة مدونة، لا نعلم عن تاريخ ولادته، إذ لم تذكر المصادر التي ترجمت له ذلك، عاش في قرطبة، استكتبه المنصور بن أبي عامر ثم ولده المظفر، تُوفي في المطبق في سخطة المظفر عبد الملك بن أبي عامر

في ذى القعدة سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م. الحميدي: جذوة المقتبس، ص٤٠٤، ٤٠٥؛ ابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ج٢، ص٥٢٢؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٣٧٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٠٤؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٦٦. ويقال أنه لقب بالجزيري؛ لأنه سكن في بداية حياته في الجزيرة الخضراء، ويلقب بذلك تذكيرًا بأصله؛ ولعل مرد ذلك أن مولده كان بالجزيرة التي نُسب إليها، فابن سعيد قد وضعه في كتابه في قسم "الحلة الحمراء في حلى الجزيرة الخضراء". المُغرب، ج١، ص٣٢١-٣٢٢. وهو ما أكده ابن الأثير الجزري بقوله: "هذه النسبة إلي الجزيرة الخضراء بالأندلس يُنسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري". ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثني، (د.ت)، ج١، ص٢٧٨.

(٢١٨) هو أبو الأصبغ عيسى بن سعيد القطاع، وزير المظفر، قتله المظفر سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، بعد اتهامه بالتدبير ضده، ولم يكتف المظفر بذلك، بل طال العقاب والتنكيل بأولاد عيسى بن سعيد القطاع، حيث ألقى بهم بمطبق الزاهرة، بعدما صادر أموالهم وأملاكهم. ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٢٨؛ نفسه، ق٤، مج١، ص٥٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٧-٣٤.

(٢١٩) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٢٤.

(٢٢٠) يقول عنه ابن بسام "فتناهى في الاكتساب بالحضرة وجميع أقطار الأندلس ضياعًا ودورًا، فات الناس إحصاؤها، واشتمل على المُلك هو وولده وصنائعه". المصدر السابق، ق١، مج١، ص١٢٤.

(٢٢١) نفسه، ق٤، مج١، ص٥٠.

(٢٢٢) نفسه.

(٢٢٣) نفسه.

(٢٢٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٤.

(٢٢٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٢٥-١٢٦؛ أحمد الطاهري: عامة قرطبة، ص٢١٢.

استغل ابن القطاع منصبه الوزاري، وتفويض عبد الملك له في إدارة الدولة، وأخذ يبيع المناصب الإدارية، مما عاد عليه بالثروة الطائلة، حتى أصبح لا يسير إلا في موكب ضخم، كما أن الوصول إليه أصبح أمرًا عسيرًا، كل ذلك لم يقنع الوزير بن القطاع، ولذلك فقد أخذ يدبر مؤامرة للإطاحة بعبد الملك المظفر، وتسليم الدولة لهشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، وكاد تدبيره أن يتم لولا أن كشفت خيوط المؤامرة في مراحلها الأخيرة، فذهب ابن القطاع ضحية لها سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م. ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٢٤، ١٢٥-١٢٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٨-٣٠.

(٢٢٦) كان ابن سعيد القطاع المعروف بأبي عامر متزوجًا من أخت المظفر. ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص١٢٨.

(٢٢٧) ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٥٠-٥١.

(٢٢٨) ظل في محبسه إلي أن أمر المظفر بقتله سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٤، ٢٦.

(٢٢٩) طَرْطُوشَةُ: مدينة من بلاد الأندلس، تتصل بكورة بلنسية، وهي شرقي بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر، فهي باب من أبواب البحر، ومرفأ من مرافئه، يأتيها التجار من كل ناحية، بها أسواق وعمارات وضياع وفعلة، وبجبالها خشب الصنوبر، الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، منه يصنعون سفنهم، وقصبة طرطوشة من المنعة والسمو في حد لم يستوفه بالصفة إلا الوزير الكاتب عبد الملك الجزيري حين سجنه بها المنصور بن أبي عامر، استولى عليها الأسبان سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٩١.

(٢٣٠) ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة، ط١، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٧٨. لمعرفة لفظ القتب. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة قتب، ص٣٥٢٤.

(٢٣١) ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٥٢.

(٢٣٢) يُطلق على هذا النوع من السجون اسم المُطْبَق، لأنه أُطْبِقَ على من فيه، يقام تحت الأرض أو في جوف الأرض في حرم قصر الخلافة ليكون قريبًا من الحاكم الذي يشرف عليه بنفسه، أو للحاجة إلي التكتم والسرية في عمليات الحبس والقتل بعيدًا عن أعين العامة، وقد عُرف عن سجن المُطْبق أنه يتميز بالعمق وشدة الإحكام، كما أنه مظلم لا يَعرف فيه السجينُ الليل من النهار. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٢٥؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص١٠٦؛ محمد على دبور: السجون والسجناء بالأندلس في عهدي بني أمية وملوك الطوائف، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ع٨، ٢٠١٥م، ص١٣٦.

(٢٣٣) ابن بسام: المصدر السابق، ق٤، مج١، ص٥٢.

(٢٣٤) لقضافته: أي لنحافته ونحوله. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٧٤٢.

(٢٣٥) راجع ما نقله عنه ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص٥٢؛ سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الإصدار رقم ٥١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٩٠٠.

(٢٣٦) ابن خاقان: مطمح الأنفس، ق١، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن بشكوال: الصلة، ص٥٢٢؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٣٢٢.

(٢٣٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٣٧.

(٢٣٨) إبراهيم عبد المنعم سلامه أبو العلا: العامة في الأندلس، ص٦١.

(٢٣٩) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٢، ص٤١٨.

(٢٤٠) نفسه، ص٥٠٨.

(٢٤١) الزجالي: أمثال العوام، ج٢، ص٢٣٧.

(٢٤٢) باديس بن حبوس: ولي عرش مملكة غرناطة بعد موت أبيه حبوس بن ماكس، وتنازل شقيقه الأصغر بلقين له بمساعدة وزير أبيه إسماعيل بن نغدلة، حكم غرناطة وما حولها في الفترة من ٤٢٩- ٤٦٧هـ/١٠٣٧-١٠٧٤م. للمزيد انظر الشنتريني: الذخيرة، ق١، مج٢، ص٦٦٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٣٠؛ الإحاطة، ج١، ص٤٣٥.

(٢٤٣) أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، ولد في بغداد سنة ٣٥٠هـ/٩٦٠م حيث تلقى تعليمه، ثم هاجر إلي الأندلس سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، وعندما التحق بخدمة باديس بن حبوس تورط في شؤون السياسة، ولحقته تهمة التدبير ضد باديس مع ابن عمه يدير بن حباسة، فقبض عليه قداح عبد باديس، وألقى به في حبس ضيق، فأقام في الحبس إلي أن قدم باديس وضربه بالسيف وحز رأسه في ٢٨ محرم سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م. ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٢٤؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، رقم ٢٩٣، ص٢٠٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنأووط وتركى مصطفي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٠، ص٢٨٩؛ عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة، مج٥، س٨، ص٣٣٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٤٥٥– ٤٥٨.

(٢٤٤) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص ٤٨٢؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٠٧ – ١٠٨.

(٢٤٥) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ترجمة رقم ٢٩٣، ص٢٠٦؛ المراكشي: الذيل والتكملة، مج٥، س٨، ص٣٣٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٤٥٥–٤٥٨.

(٢٤٦) المرية: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وهي تعد من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، سقطت في أيدي الأسبان سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م. الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي: الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢–٥٦٣؛ الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص١٩٩–١٢٠الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٣–١٨٤.

(٢٤٧) ابن بسام: الذخيرة، ق١، ص٦٥٩. وانظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٧١.

(٢٤٨) ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص١٩٥. للمزيد انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢١٦– ٢١٧.

(٢٤٩) ابن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله، ص٣٤.

(٢٥٠) نفسه، ص١٥١.

(٢٥١) مريم قاسم طويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣–٤٨٣هـ/١٠١٢–١٠٩٠م)، ط١، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٧٦.

(٢٥٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٩٣–٩٤.

(٢٥٣) كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م، ص٣٦.

(٢٥٤) الوزاني: النوازل الجديدة الكبري، ج١٠، ص٢٦٣.

(٢٥٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٤٩.

(٢٥٦) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص١٧٧؛ ابن عذاري: البيان، ج٣، ص٦١؛ ابن جزي الغرناطي: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تحقيق وتعليق ماجد الحموي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٣م، ص٥٩٦–٥٩٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١١١؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج٢، ص٤١٢.

(٢٥٧) ابن سهل الأندلسي: كتاب ديوان الأحكام الكبري، ص٦٨٦.

(٢٥٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٩.

(٢٥٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٥.

(٢٦٠) الزجالي: أمثال العوام، ج٢، ص١٩.

(٢٦١) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص٥٦.

(٢٦٢) نفسه، ص٥٨.

(٢٦٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٢٦٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية، ص٦١.

(٢٦٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٠٦.

(٢٦٦) ابن عذاري: المصدر السابق، ج٣، ص١٢١؛ انظر أيضًا المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٢٦٧) ابن عبدون: المصدر السابق، ص١٨.

(٢٦٨) نتوفر على مثال يخص أحد العبيد السود بمدينة بغداد خلال القرن ٤هـ/ ١٠م، كان يعيش حياة بائسة، استغل حالة الانفلات التي حلت بالمدينة، وحمل سيفه وسلطه على رقاب الناس نهبًا وسلبًا، وفي هذا الصدد يقول أبو حيان التوحيدي: "فلما حلت النقرة، أعنى لما وقعت الفتنة، وفشا الهرج والمرج، ورأي هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله، طلب سيفًا وشحذه، ونهب وأغار وسلب، وظهر منه شيطان في مسك إنسان". أبو حيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص١٦٠.

(٢٦٩) قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ودار الإمارة ومستقر الخلافة، فيها كان الخلفاء من بني أمية، تقع على نهر الوادي الكبير، في الجزء الجنوبي من إسبانيا، يحدها من الشمال مدينة ماردة، ومن الجنوب مدينة قرمونة، ومن الغرب مدينة إشبيلية، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، سقطت في أيدي النصارى الأسبان سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م. الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي: الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م، ص٧٦-٧٧، ١٧٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٤-٥٧٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٣.

(٢٧٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٩٠.

(٢٧١) نفسه، ص١٣٤-١٣٥؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٨٧.

(٢٧٢) نفسه، ص١٠٧.

(٢٧٣) نفسه، ص١١٥.

(٢٧٤) نفسه.

(٢٧٥) نفسه، ص٢٦٩.

(٢٧٦) بني دَمّر: من بطون زناتة، ودمر هو دمر بن روسيك بن الديرت بن جانا، واسمه الغانا ولقبه دمر، وبطون دمر كثيرة، منها بنو ورغمة، وبنو ورنيد، وبنو برزال وغيرهم. ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص٤٩٨؛ وانظر أيضا ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٥. وتمتد مواطن بني دمر عبر أراضي أفريقية والمغرب الأوسط. سنوسي يوسف إبراهيم: زناتة والخلافة الفاطمية، ط١، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٧٨. وقد عبر بنو دمر إلي الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر نتيجة لما لاقته بطون زناتة من صنوف التنكيل والاضطهاد على أيدي بلقين بن زيري بعد قتلهم لابيه زيري بن مناد، فكان ذلك سببًا لفرارهم إلي الأندلس، بعد ما أحدثه بلقين من دمار وقتل واجتياح لمدن زناتة انتقاما منهم لقتلهم أبيه. مجهول: مفاخر البربر، ص٩٧-٩٩.

(٢٧٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٩.

(٢٧٨) السيد الكنبيطور (El Cid Campeador): الفارس القشتالي الذي قام بدور كبير في تاريخ شرق الأندلس وتاريخ إسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، اسمه رودريجو دياث (Rodrigo Diaz de Vivar)، يُرجح أنه ولد سنة ١٠٤٥م في قرية بيبار شمال مدينة برغش، نشأ مُعدما بمظاهر الحرمان، ينحدر أبوه من أسرة قشتالية، بزغ نجمه في حروبه ضد ملك قشتالة فرناندو الأول، تمكن من الاستيلاء على مدينة بلنسية سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، توفي الكنبيطور سنة ١٠٩٩م. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٥؛ الطاهر أحمد مكي: ملحمة السيد، ط٤، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٨-٨٤.

(٢٧٩) بلنسية (Valencia): مدينة سهلية تقع شرقي الأندلس على مقربة من ساحل البحر المتوسط، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، تحدها طليطلة من الغرب، وطرطوشة من الشمال، ومرسية من الجنوب، تتميز بخصوبة تربتها، ورواج التجارة، رحل إليها الناس من كل قطر بالأموال، ولحق بها عريف كل صناعة، سقطت في أيدي الإسبان نهائيًا سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م. الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٤٩٠؛ ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٦٠؛ كمال أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص٤٧.

(٢٨٠) استرد المرابطون بلنسية مرة أخرى على أيدي الأمير المرابطي أبو محمد مزدلي في سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٤١-١٤٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٢٧٤.

(٢٨١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص٣٥؛ كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص١٧٧.

(٢٨٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص١٠٣-١٠٤.

(٢٨٣) كان المرابطون لا ينزعون اللثام في أشد حاجاتهم الضرورية، حتى أن الواحد منهم لا يعرف حين ينزع اللثام عن وجهه، وإذا قتل القتيل في المعركة، ونزع عنه لثامه، فإنهم لا يتعرفون عليه إلا حين يلثمونه، فصار القناع لهم ألزم من جلودهم. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٧٠.

(٢٨٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص٢٨.

(٢٨٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٣.

(٢٨٦) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص١١٩.

(٢٨٧) ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص١٣٦.

(٢٨٨) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٢، ص٤٢٤.

(٢٨٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٨١.

(٢٩٠) نتوفر على عدة إشارت تفيد بارتكاب السودان لجرائم اغتصاب النساء ببلاد المغرب، نذكر منها أنه عندما نجح أبو العباس أحمد بن طولون في هزيمة الأغالبة ٢٦٧هـ/٨٨٠م بطرابلس "تعدى بعض سودانه على بعض حرم البوادي وهتكوا الستر". ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١١٩. كما تعرض نساء لسانة قرية تجاور تونس على عهد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني للاغتصاب على أيدي جنوده السودان، عندما رفض أهلها بيعها له، فدخلوها عنوة واغتصبوا نساءها، حتى أن امرأة من أهلها أتت القاضي عبد الله بن طالب (٢٧٥هـ/٨٨٩م) بثوب ابنتها "مما فيه من أثر دمها فرمته في حجر القاضي ابن طالب وأخبرته الخبر فتفجع ثم قال لمن حضره ما أظن هذا الرجل يؤمن بالله ولا بيوم الحساب". الخشني: طبقات علماء أفريقية، تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٨٢.

وكان موقف هذا القاضي سببًا في عزله من القضاء والتنكيل به من جانب الأمير الأغلبي، الذي حبسه "وأحال عليه السودان فركضوا بطنه حتى مات". الخشني: المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢٩١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٥.

(٢٩٢) كان هناك تحالف قوي بقيادة باديس بن حبوس ضد إمارة بني دمر في مورور، على الرغم من أن أصحاب هذه الإمارة من بني جلدتهم، قد اجتمعوا على غزو إمارة مورور، وكان هذا التحالف يضم باديس بن حبوس صاحب غرناطة، وأبو النور هلال بن أبي قرة أمير رندة، بالإضافة إلي محمد بن عبد الله البرزالي أمير قرمونة، وابن جهور أمير قرطبة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٩؛ مريم قاسم طويل: مملكة غرناطة، ص١٤٤.

(٢٩٣) مورور: كور مورور متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس، وهي في الغرب والجوف من من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب، ومدينة قلب قاعدة مورور ودار الإمارة بها، بلغت جبايتها أيام الحكم بن هشام واحدًا وعشرين ألف دينار. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص٤٢٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٦٤.

(٢٩٤) هو محمد بن نوح بن أبي يزيد الدمري، تولى حكم إمارة مورور بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، وصف بأنه بعيدًا عن الفضائل، مقدامًا جسورًا وافر العنف والفتك، فاستبد وبغى، وتلقب بلقب "عز الدولة" على غرار أقرانه من ملوك الطوائف، استطاع خلال فترة حكمه أن يحافظ على سلطانه وحدود إمارته، وكانت نهايته على أيدي المعتضد بن عباد= صاحب إشبيلية بعد أن دبر له كمين سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٩٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١٥٥؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤٥.

(٢٩٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٩.

(٢٩٦) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٨٠-٨١. انظر أيضًا ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٣٠، الإحاطة، ج١، ص٤٣٦.

(٢٩٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٨٠.

(٢٩٨) االطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٤٩.

(٢٩٩) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية، ص٥٠ ؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص٧٦.

(٣٠٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٨١.

(٣٠١) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، ص١٣٩

(٣٠٢) برشانة: حصن منيع من حصون الأندلس. الحميري: الروض المعطار، ص٨٨.

(٣٠٣) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠٦.

(٣٠٤) شاع وجود هذه الممارسة الشائنة ببلاد المغرب للمزيد انظر مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، نشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت)، ص١٤٥؛ التيفاشي: نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، ١٩٩٢م، ص٧٤.

(٣٠٥) في آداب الحسبة، ص٤٩.

(٣٠٦) الزجالي: أمثال العوام، ج٢، ص٤٢١.

(٣٠٧) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٧، ص٢١٨-٢١٩.

(٣٠٨) العقباني: كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنوفي، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٧م، ص٢٦١.

(٣٠٩) العقباني: كتاب تحفة الناظر، ص٢٦١.

(٣١٠) من أهل غرناطة فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب، كانت أديبة نبيلة، جيدة البديهة، سريعة الشعر، تنسب إلي بلدة ركانة وهي بلدة أندلسية قديمة غرب ثغر بلنسية. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٤٩١.

(٣١١) ابن الخطيب: المصدر السابق، ج١، ص٤٩٢.

(٣١٢) ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٣٠.

(٣١٣) ابن سعيد: المُغرب، ج١، ص٥٥.

(٣١٤) نفسه، ص١١٣؛ للمزيد انظر المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠؛ ج٢، ص٩٨، ١٢٩، ٣٧٨.

(٣١٥) ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، مج١، ص٨٣.

(٣١٦) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص١٧٧.

(٣١٧) نفسه، ص١٧٦.

(٣١٨) فقد اتهم ابن خاقان بالخلوة، والوقوع في الأعراض، حيث وجد في فندق بمدينة مراكش سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، وقد ذبحه عبدًا أسود خلا معه وتركه. ابن سعيد: المصدر السابق، ج١، ص٢٦٠.

(٣١٩) الزجالى: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢٥٧.

(٣٢٠) نفسه، ج٢، ص٤٦١-٤٦٢.

(٣٢١) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٧٧.

(٣٢٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٢٦.

(٣٢٣) أبدة: اسم مدينة بالأندلس من كورة جيان، تُعرف بأبدة العرب، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، وأتمها ابنه محمد بن عبد الرحمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٦٤. وقد اشتهرت مدينة أبدة بكثرة الملاهي والراقصات المشهورات بحسن الانطباع والصفة، وأماكن الدعارة التي يتردد عليها العامة من الناس. المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢١٧.

(٣٢٤) ابن أبي الخصال: رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٦٤٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٥٢٠.

(٣٢٥) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢٢١.

(٣٢٦) نفسه.

(٣٢٧) ابن العطار: الوثائق والسجلات، تحقيق ب. شالميتا ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م، ص١٣٧.

(٣٢٨) مجموعة مؤلفين: رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، ص١٠٩-١١٠.

(٣٢٩) ابن حيان: المقتبس، نشر ب. شالميتا وف . كورينطي وم . صبح، مطابع ريكار، مدريد، ١٩٧٩م، ج٥، ص٤٠٧.

(٣٣٠) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٩، ص١٩٨.

(٣٣١) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبري، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص١٨٤؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج٩، ص٦٠٦؛ شيماء فرغلي: الجريمة والعقوبة في الأندلس، ص١٠٣.

(٣٣٢) عبد الباقي السيد عبد الهادي: المهمشون في الأندلس من واقع كتب النوازل المعيار للونشريسي أنموذجًا، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ع٨، ٢٠٢٠م، ص٤٢.

(٣٣٣) مجموعة مؤلفين: رسائل موحدية، نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١م، ص١٠٩-١١٠.

(٣٣٤) نفسه، ص١٠٩.

(٣٣٥) من فتيان المنصور بن أبي عامر، توليا حكم بلنسية في شرق الأندلس للمزيد من المعلومات عنهما انظر ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص٢٩٩ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٥٨؛ ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٢٢.

(٣٣٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٦٠.

(٣٣٧) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢.

(٣٣٨) المراكشي: الذيل والتكملة، مج٥، س٨، ص٣٣٩.

(٣٣٩) نفسه، ص٣٤٠.

(٣٤٠) نفسه، والصفحة.

(٣٤١) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة، ص٥٦.

(٣٤٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٣٤٣) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ج٥، تحقيق سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٠م، ص١٠٢.

(٣٤٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٣٤٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٨.

(٣٤٦) إبراهيم عبد المنعم سلامة: العامة في الأندلس، ص٣٢٤.

(٣٤٧) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص١٧٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٣٤٨) يحيي بن عمر الأندلسي: أحكام السوق، تحقيق محمود على مكي، ص١٢٧.

(٣٤٩) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج١، ص٩٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٧٦.

(٣٥٠) ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م، ص١٦.

(٣٥١) ابن سعيد: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٩٠.

(٣٥٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٥٦؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص١١٠.

(٣٥٣) الأدفوي: الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، ط١، القاهرة، ١٩١٤م، ص٣٢٨.

(٣٥٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٠٦.

(٣٥٥) العقباني: كتاب تحفة الناظر، ص٢٦١.

(٣٥٦) نفسه.

قائمة المصـــادر والمراجع

أولاً: المصـــادر العربيـــة المطبوعـــة:

١) **ابن الأبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٦١م.

٢) ـــــــ، الحلة السيراء، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣) **ابن الأثير** (عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد، ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، ج٥، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٤) **ابن الأثير الجزري** (عز الدين بن الأثير الجزري، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثني، (د.ت)، ج١.

٥) **الإدريسي** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٥٨هـ/١١٦٢م): كتاب صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، ١٨٨٣م.

٦) ـــــــ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، مج١.

٧) **الإصطخري** (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى، ت فى النصف الأول من ٤هـ/١٠م): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨) **ابن بسام** (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني، ت٥٤٢هـ/١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م، ٨ أجزاء.

٩) **ابن بشكوال** (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت٥٧٨هـ/١١٨٢م): الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ج٢.

١٠) **البكري** (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢.

١١) ـــــــ، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
١٢) **ابن بلكين** (عبدالله): مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.
١٣) **البيذق** (أبو بكر بن على الصنهاجي، ت في خلافة عبد المؤمن بن على): أخبار المهدي بن تومرت، تقديم عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٥م.
١٤) **التيفاشي** (شهاب الدين أحمد): نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، ١٩٩٢م.
١٥) **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر، ٢٥٥هـ/٨٦٨م): كتاب فخر السودان على البيضان، رسائل الجاحظ، القاهرة، ١٩٠٦م.
١٦) ـــــــ، رسائل الجاحظ، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٧) **ابن جبير**(أبو الحسين محمد الكناني، ت٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار صادر، بيروت، (د.ت).
١٨) **الجرجانى** (على بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ت٨١٦هـ/١٤١٣م): معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
١٩) **ابن جزي الغرناطي** (محمد بن أحمد، ت٧٤١هـ/١٣٤٠م): القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تحقيق وتعليق ماجد الحموي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٣م.
٢٠) **ابن الحاج التيجيبي** (محمد بن عبد الله بن عبيد الله، ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) : نوازل ابن الحاج، ج٢، تحقيق أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطبعة تطوان، ٢٠١٨م.
٢١) **ابن حزم الأندلسي** (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد، ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٢) ـــــــ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
٢٣) ـــــــ، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ١٩٨٠م، ج٢، ١٩٨١م، ج٣، ١٩٨٧م.

٢٤) **الحميدي** (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي، ت٤٨٨هـ/١٠٩٠م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.

٢٥) **الحميري** (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت في أواخر القرن ٩هـ/١٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٦) ـــــ، صفة جزيرة الأندلس، نشر وتعليق ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٧) **ابن حوقل** (أبو القاسم محمد بن على النصيبي، ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): صورة الأرض، ط١، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٨) **ابن حيان** (القرطبي، ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

- قطعة خاصة تشتمل على عهد الناصر لدين الله، تحقيق بدرو شالميتا وفردريكو كورينطي ومحمود صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- تحقيق إسماعيل العربي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
- السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣م.

٢٩) **أبو حيان التوحيدي** (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م): كتاب الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج٣.

٣٠) **ابن خاقان** (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، ت٥٢٩هـ/١١٣٤م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة، ط١، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

٣١) ـــــ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق حسين يوسف خريوش، ط١، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٩م، ج١.

٣٢) **ابن خرداذابة** (أبو القاسم عبيد الله، ت٣٠٠هـ/٩١٢م): المسالك والممالك، طبع في مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٨٨٩م.

٣٣) **الخشني** (أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني، ت ٣٦١هـ/٩٧١م): قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٤) ـــــــ، طبقات علماء أفريقية، تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٥) **ابن أبي الخصال** (أبو عبد الله الغافقي الأندلسي، ت٥٤٠هـ/١١٤٥م): رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

٣٦) **ابن الخطيب** (لسان الدين أبو عبدالله محمد بن الخطيب، ت ٧٦٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

٣٧) ـــــــ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣.

٣٨) ـــــــ، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، مج١.

٣٩) ـــــــ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤٠) **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم عبادة كحيلة، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج١.

٤١) **ابن خلكان** (أبو العباس شمس الدين أحمد، ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٧.

٤٢) **ابن الدباغ** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد ماضور، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، ١٩٦٨م، ج٢.

٤٣) **الدرجيني** (أبو العباس أحمد، ت منتصف ق٧هـ/١٣م): طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ١٩٧٤م، جزءان.

٤٤) **الأدفوي**: الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، ط١، القاهرة، ١٩١٤م.

٤٥) **الذهبي** (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، تحقيق اكرم البوشي، إشراف شعيب الأرنؤوط، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج١٤.

٤٦) **الرازى** (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م): مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت.

٤٧) **الزجالي (عبد الله بن أحمد الزجالي، ت٦٩٤هـ/**١٢٩٤م): أمثال العوام في الأندلس، مستخرجه من كتابه ري الأوام ومرعي السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، ١٩٧١م.

٤٨) **ابن أبي زرع** (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

٤٩) **ابن الزقاق** (أبو الحسن على، ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

٥٠) **الزهري** (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت أواسط ق ٦هـ/١٢م): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٥١) **ابن الزيات التادلي** (أبو يعقوب يوسف بن يحيى، ت أوائل ق٧هـ/١٣م): التشوف إلي رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

٥٢) **ابن سعيد** (على بن موسي بن محمد، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

٥٣) ـــــ، المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، جزءان.

٥٤) ـــــ، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

٥٥) **السقطي** (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي، ت ٦هـ/١٢م): في آداب الحسبة، نشر جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الدولية، الرباط، ط. باريس، ١٩٣١م.

٥٦) **ابن سهل** (أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدي، ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م): ديوان الإحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٥٧) **السيوطي** (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن، ت٩١١هـ/١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١.

٥٨) **ابن الشباط** (محمد بن على بن الشباط المصري التوزري): وصف الأندلس: قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط في شرح سمط الهدي في الفخر المحمدي، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، إسبانيا، ١٩٦٨م، مج١٤.

٥٩) **الشريشي** (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي): شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

٦٠) **الشماخي** (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م): كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلي نهاية القرن الخامس للهجرة، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، مج٣٠، ١٩٩٥م.

٦١) **الصفدي** (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٠، ١٩.

٦٢) **أبو طالب الأنصاري** (شمس الدين أبو عبد الله محمد): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م.

٦٣) **ابن طباطبا** (محمد بن على بن طباطبا، ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٦٤) **الطوسي** (نظام الملك الطوسي، ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سير الملوك أو سياست نامة، ترجمة عن الفارسية يوسف بكار، ط١، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٦٥) **ابن عاصم الغرناطي** (أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م): جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٩م، ج٢.

٦٦) **عبد الواحد المراكشي** (محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي، ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م): المعجب في تخليص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٦٧) **ابن عبدون:** رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسية للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٦٨) **ابن عذاري** (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، الأجزاء ١، ٣؛ الجزء ٢، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م؛ الجزء ٤، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م؛ قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

٦٩) **العذري** (أحمد بن عمر بن أنسي، ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م): نصوص عن تاريخ الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلي جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥م.

٧٠) **ابن العطار** (محمد بن أحمد الأموي، ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م): الوثائق والسجلات، تحقيق ب. شالميتا ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

٧١) **العقباني** (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم، ت٨٧١هـ/١٤٦٧م): كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنوفي، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٧م.

٧٢) **العمري** (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل الجبورى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، مج٤، ٢٠١٠م.

٧٣) **الغرناطي** (أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي الغرناطي، ت٥٦٥هـ/١١٦٩م): تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق على عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م.

٧٤) **ابن الفرضي** (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ج١.

٧٥) **ابن فضلان** (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، قام برحلته سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م): رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الهامشية، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٧٦) **ابن الفقيه** (أبو أحمد بن محمد الهمداني، ت أوائل القرن ٤هـ/١٠م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ.

٧٧) **الفيروز آبادي** (مجدالدين محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي بمؤسسة الرسالة، ط٦، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٩٨م.

٧٨) **الفيومى** (أحمد بن محمد بن على الفيومي، ت نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج١.

٧٩) **القاضي عياض** (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، ت٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، (د.ت)، ج٥.

٨٠) ـــــــ، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضى عياض، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٨م.

٨١) **القزويني** (زكريا بن محمد بن محمود، ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، تعليق وتقديم حماة الله ولد السالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م.

٨٢) **ابن القطان** (أبو الحسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، ت٦٢٨هـ/١٢٣١م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود على مكي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

٨٣) **ابن قنفذ** (أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ، ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٨م): أنس الفقير وعز الحقير، نشره محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكوان، الرباط، ١٩٦٥م.

٨٤) **ابن القوطية** (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مزاحم، ت٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٨٥) **ابن الكردبوس** (أبو مروان عبد الملك، ت٥٧٣هـ/١١٧٧م): تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

٨٦) **الماوردي** (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري، ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٨٧) **مجموعة مؤلفين**: رسائل موحدية، نشر إ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١م.

٨٨) **مجهول** (كاتب مراكشي من كتاب القرن ٦هـ/ ١٢م): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦م.

٨٩) **مجهول** (من أهل القرن ٨هـ/ ١٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

٩٠) **مجهول**: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.

٩١) **مجهول**: حدود العالم من المشرق إلي المغرب، تحقيق يوسف الهادي، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

٩٢) **مجهول**: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م، ج١.

٩٣) **مجهول**: فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٤م.

٩٤) **مجهول:** مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٥م.

٩٥) **أبو محمد الرشاطي** (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) **وابن الخراط الإشبيلي** (ت ٥٨١هـ/١١٨٦م): الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

٩٦) **المراكشي** (عبد الواحد، ت ق ٦هـ/١٢م): وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٩٧) **المقدسي** (أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت حوالي ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

٩٨) **المقري** (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج٥، تحقيق سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٠م.

٩٩) **ابن منظور**(أبو الفضل محمد بن جمال الدين بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ت ٧١١هـ/١٣١٢م): لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج١٢.

١٠٠) **الناصري** (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت١٣١٩هـ/١٩٠١م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج١.

١٠١) **النباهي المالقي** (أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن المالقي، ت بعد ٧٩٣هـ/١٣٠٠م): تاريخ قضاة الأندلس أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر إ. ليفي بروفنسال، ط١، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٠٢) **ابن النديم:** الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

١٠٣) **النويري** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٠٤) **ابن الوردي** (سراج الدين بن عمر، ت٦٨٩هـ/١٢٩٨م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنوار محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٠٥) **الوزان** (الحسن بن محمد الزياتي، ت٩٦٠م/ ١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م.

١٠٦) **الوزاني** (أبو عيسى المهدي، ت١٣٤٢هـ): النوازل الجديدة الكبري فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، تصحيح عمر بن عباد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٩م، ج٥.

١٠٧) **الونشريسي** (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٩١٤هـ/١٥٠٨م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨١م، ١٣ جزءًا.

١٠٨) **ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٧ مج.

ثانيـاً: **المـراجـع العربيـــة والمعـربـــة**:

١) **إبراهيم القادري بوتشيش:** الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢) **أحمد الشكري:** الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، سنة١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣) **أحمد الطاهري:** عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨م.

٤) **أحمد مختار العبادى:** قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

٥) **آنخل جنثالث بالنثيا:** تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٦) **بطرس البستانى:** محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٧) **جاك تيري:** تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطي، ترجمة عزوز الطلحي، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٣م.

٨) **حسن على حسن:** الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصري المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٩) **دوزي:** المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولدون، ج١، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

١٠) **سالم بن عبد الله الخلف:** نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، الإصدار رقم ٥١، ٢٠٠٣م، ج٢.

١١) **السيد عبد العزيز سالم:** تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢م.

١٢) **شوكت عارف:** دولة الكانم الإسلامية، ط١، دار دجلة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

١٣) **شيماء فرغلي:** الجريمة والعقاب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلي سقوط الخلافة الأموية، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢٠م.

١٤) **الطاهر أحمد مكي:** دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٥) ـــــــ، ملحمة السيد، ط٤، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٦) **عايدة العزب موسى:** تجارة العبيد فى أفريقيا، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٧) **عبد الإله بنمليح:** الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م، ط١، دار الأنتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٨) **عبد الرحيم بن سلامة:** الجريمة والعقوبة في ضوء الشريعة والقانون، مجلة الإحياء، ع٢٣، ٢٠٠٤م.

١٩) **عبد القادر عودة:** التشريع الجنائي في الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت)، ج١.

٢٠) **عز الدين أحمد موسي:** النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢١) **على أدهم:** منصور الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٢٢) **على حسين الشطشاط:** تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٣) **كمال السيد أبو مصطفي:** تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي (٩٥-٤٩٥هـ/٧١٤-١١٠٢م)، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ت).

٢٤) ـــــــ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م.

٢٥) **ليفي بروفنسال:** تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلي سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية، ترجمة إلي الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمة إلي العربية على عبد الرؤوف البمبي وآخرون، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، مج٢، ج١.

٢٦) **مجمع اللغة العربية:** المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٧) **محمد أبو حسان:** أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، ط١، مكتبة المنار، الإردن، ١٩٨٧م.

٢٨) **محمد أبو زهرة:** الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٩) **محمد أحمد أبو الفضل:** تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشاءها حتى استيلاء المرابطين عليها (٣٤٤-٤٨٤هـ/٩٥٥-١٠٩١م)، تصدير السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ١٩٨١م.

٣٠) **محمد رواس قلعه جى:** موسوعة فقه عبد الله بن عباس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، د.ت، ج١.

٣١) **محمد عبد الله عنان:** الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٢) ـــــــ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول من الفتح إلي بداية عهد الناصر، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١.

٣٣) ـــــــ، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٤) **مريم قاسم طويل:** مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (٤٠٣-٤٨٣هـ/١٠١٢-١٠٩٠م)، ط١، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٥) **هنري بيريس:** الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٦) هويكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطي، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٨٠م.

ثالثاً: المـراجـــع الأجنبيـــة:

1) **Abitbol, M.:** Juifs maghrébins et commerce transsaharien (VIIIe- XVe siècles). In Le sol, la parole et l'écrit: Mélanges en hommage à Raymond Mauny, paris, 1981.
2) **Alexander,J**: Islam, Archeaology and Slavery in Africa,World Archaeology, Vol.33.
3) **Basil, Davidson**: Aguide to African History, Doubleday, New York, 1965.
4) **Bernard Lewis.:** The African Diaspora and The Civilization of Islam, Harvard University Press, London, 1976.
5) **Botte, R**: Traite et esclavage, du passé au present, Esprit, No. 317, 2005.
6) **Brett, M**: Ifriqiya as Market from Saharan Trade from the 10th to the 12th Century, Journal of African History, Vo1.X, 3, 1969.
7) **Couq, J**.: Histoire de l'Islamisation de L'Afrique de l'Ouest des Origines a La Fin du XVL Siècle Librairie Orientaliste paul Genthner, Paris, 1989.
8) **Harry A.Galley**: History of Africa from Earliest Times to 1800, London, 1989.
9) **Idrissa BA** : La problématique de la présence juive au Sahara et au Soudan d'après Jean Léon l'Africain, Outre-Mers,To.94, No. 350-351, 2006.
10) **Lewicki, T.:** Etudes Ibadites nord africaines, partie I, tasmiya suyuh gabal Nafusa wa-qurahum, Warszawa, 1955.

11) **Pierre Guichard**: L'espagne et la Sicile Musulmanes aux XIe et XIIe Siecles.

12) **Willis R.J**: "The Ideology of enslavement in Islam" in Slaves and Slavery in Muslim Africa.

رابعاً: **الدوريـــات العربيـــة**:

١) **إبراهيم القادري بوتشيش:** مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بحث ضمن كتاب الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢) **جمال أحمد زيد الكيلاني:** مقاصد العقوبة في الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة النجاح الوطنية، مج٢٨، ع١، ٢٠١٤م.

٣) **صلاح أحمد عيد خليفة:** أجناد الحشم في الأندلس من الأمويين إلى الموحدين (١٣٨-٦٠٩هـ/٧٥٦-١٢١٢م).

٤) **عبد الباقي السيد عبد الهادي:** المهمشون في الأندلس من واقع كتب النوازل المعيار للونشريسي أنموذجًا، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ع٨، ٢٠٢٠م.

٥) **محمد على دبور:** السجون والسجناء بالأندلس في عهدي بني أمية وملوك الطوائف، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، ع٨، ٢٠١٥م.

خامسا: **الرسائل العلمية**:

١) **إبراهيم عبد المنعم سلامه أبو العلا:** العامة في الأندلس في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م.

جانان عز الدين شبانة: الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، ٢٠٠٥م.